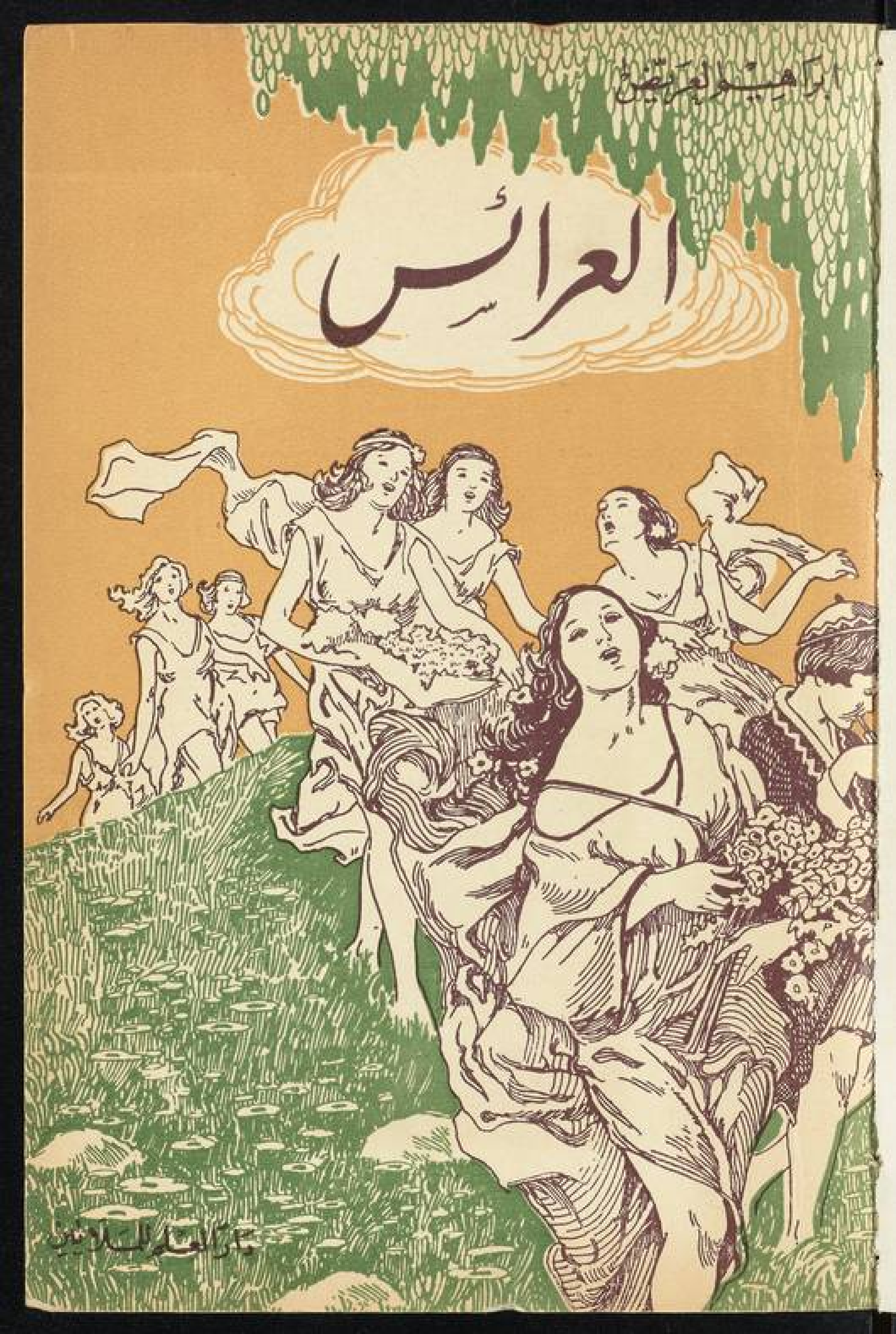

ابراهيم العريض
العرائس
دار العلم للملايين

al-ʿUrayyid, Ibrāhīm

ابراهيم العريّض

al-ʿArāʾis

العرائس

دار العلم للملايين

بيروت ١٩٤٦

طبع من هـذه المجموعة الشعرية ألف نسخة عـلى ورق
هولزفراي «مت» واثنتا عشرة نسخة على ورق هولزفراي
ممتاز مرقمة من (١) الى (١٢) . وهي غير معروضة للبيع .

الطبعة الأولى
تشرين الثاني ١٩٤٦

الشعر البحراني

بقلم الاستاذ الحوماني

•

كنت أفكر ملياً في من هو هذا الشاعر الذي يبعث اليّ بقطع لا يعدوها الشعر ومصدرها بقعة مجهولة في هذا العالم ، عالم الشعر اليوم ؟ على أني ، وقد رجعت بالذاكرة الى عشرة أعوام أو تزيد فاسترجعت ذكرى الشاعر الخطي البحراني قبل مئتي عام أو تزيد إذ أقرأه في سلافة العصر فيملأ نفسي إعجاباً بقريضه الفحل ، وهو يصف سيبطية البحر التي شجّت رأسه على ساحل البحرين ، عدت بعد هذا غير منكر على شاعر البحرين السيد ابراهيم العريض أن يكون خليفة الخطي وغير منكر على تلك البقعة أن تكون مصدر اللؤلؤ بكلا معنييه .

كنت أفكر في شخص هذا الشاعر وأنا اقرأ له قوله مرسلاً الى مجلتي « العروبة » أيام حداثتها :

يا مصميَ القلب ، والآمال ذابلة ، فازهرت بالدم الجاري ولم تكدِ
رفقاً علي نزعه مني فقد علقت به بقية ما أبقيته لغدي
من كل امنية تزهو بحسرتها حتى كأنهما روحان في جسدي

لا تترك القلب مفتوحاً بقرحته   فثمّ حبّك لم ينقص ولم يزد
أو خذ مع السهم أفلاذاً مقطعة   فلست بعدك أبقيها الى أحد

فلم يعدل بي الفكر عن كونه شيخاً قارحاً في مزاولة هذا الفن . فالشعر وإن كان هبة فوق كونه كسباً ، لا ينشأ عبقري الاسلوب والروح حتى يكون للشاعر سهم وافر من تقويم أوده وتذليل صعبه ، إذ هو مجموعة من العلوم والآداب مصهورة في بوتقة الفن ، ولعل الشعر خلاصة هذه المجموعة ، وغريب على النقد أن يراها متوفرة في الأحداث من شعرائنا الشباب .

لذلك كانت الدهشة مستحوذة عليّ إذ كنت جالساً الى مكتب العروبة أصيل يوم ما وأرى شاباً وسيماً حدثاً يدخل عليّ ويحييني كأنه واحد من خلطائي ثم يقول : لعلك لم تعرفني ؟ قلت : وكيف عرفتني أنت ؟ فقال : صاحب العروبة يعرفه كل عربي . قلت : إنك شاعر فمن أنت ؟ قال : ابراهيم العريض . فقلت : عرفتني بشعورك لا بعروبتك ، ولم أعرفك لاستحواذ السياسة علي هذه الأيام فكنت بذلك أرهف شعوراً وادق إحساساً مني .

كنت دهشاً إذ دخل علي وقارنت بين شبابه وشيخوخة شعره ، فآمنت إذ ذاك أن الأثر ليس وليد المؤثر وإنما هو وليد الحياة فيه والحياة أسمى من أن يطغى عليها شباب أو تنهار بها شيخوخة . والذي يتصف بهذين إنما هو الزمن لا الحياة .

فالاستاذ العريض شاعر شاعر . وليس لي في معرض التدليل على شعره أكثر من أن اقدم ديوانه الجديد الذي شاء أن يدعوه « العرائس » وهو

مجموعة ما أتحف به الشباب الشاعر من خواطره الناشئة في عبقر والقائمة على فكر نرى شبابنا المثقف في أمس الحاجات الى درسه واكتناه ما ينبثق فيه من حياة .

وإذا كان لبنان يتمخض بالعلم والأدب منذ قرن ونيف ليلد لنا عباقرة في الشعر لا يتجاوز عددهم أصابع اليد ، فحسب البحرين القطر البعيد عن جمال الحضارة والرازح تحت عبء التاريخ منذ قرون أن يلد لنا مثل الشاعر العريض ليفاخر به عشرات الافذاذ من الشعراء .

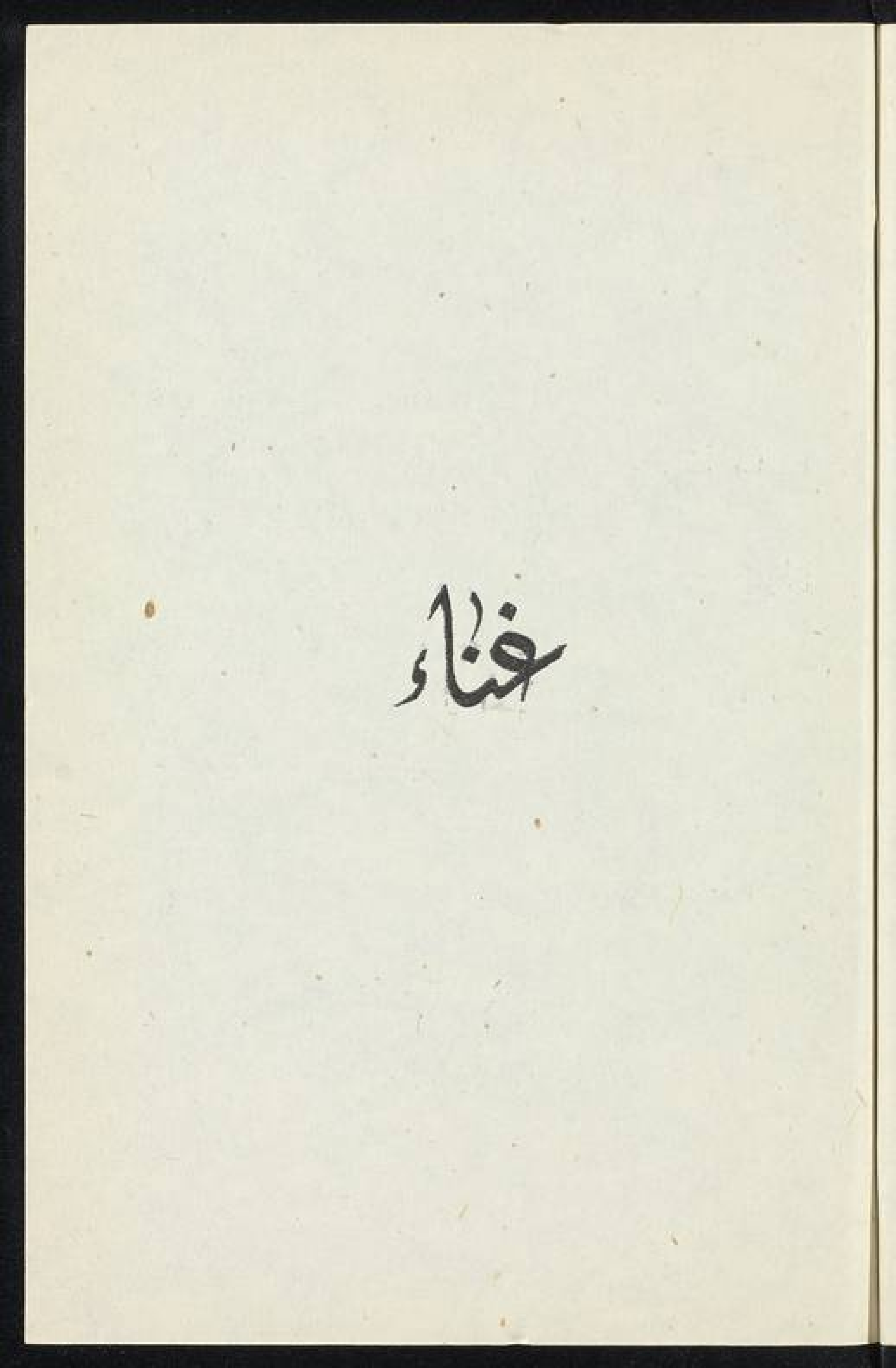
ولست أقول ذلك في معرض التدليل على شاعر مغمور ، ولا أرمي بما أقول إلى دفعه في عالم ليس هو منه ، ولا أجوز الحقيقة إلى المجاز الآخذ منها باسباب التلاعب في القول ، وإنما أشعر من صميم حياتي بسمو الحياة في شعر هذا الشاعر ، وأشعر من أعماق نفسي باني مدين لخدمة الحق في النداء على نبوغه ، ثم أشعر من وراء ذلك كله بان الملق والتضليل اللذين استحوذا على أقلام الكتاب هذه الأيام ، يدعوانني لأن أخرج من عزلتي في النقد الى الجهر بالحق في وجه الباطل .

فمرحى للحياة في الأدب الجديد ، ولهذا الأدب في الفن العبقري ، ولهذا الفن في الشعر الطريف ، ثم لهذا الشعر الحي الخالد في ديوان « العرائس » .

بيروت ١٦/٩/٩٤٦

الحوماني
صاحب العروبة

أنا والله مُغرمٌ بحميد الـذكر حتّى كأنّه بعض ديني
ولعلّي اذا انجلى الليل عن صبح أرى مثل نوره في جبيني


غناء

أفهل تذكرين — حواء — لما
قلت لي والهوى يرف علينا
« أي حسن رأيته في حنى
حال نوراً يشع من ناظرينا
حبذا لو جلوت لي في إطار
أثر الحب في نفوس كلينا »
فخذيها مني أحاسيس شتى
نبضت بالحياة لوناً فلونا

٢٦ شوال سنة ١٣٥٨ ه

حواء

●

تمثّل الحب للفنّان بين يديْ … ذكراه .. كالنار تغشى طور سيناءِ
وقال — حين رآه في تململه … يقلّب الطرف بين الزهر والماءِ
« يا من عكفتَ على الدنيا وزينتها … حتى صممت عن الأنغام من نائي *
تحيا الحياة بلا إلف تلوذ به … إلا ارتيادك في أفياء فيحاء
حتى كأن ضلوعاً أنت حاملها … تُطوى على كبد ليست بحرّاء
هذا الوجود أطار لا كفاء له … وغاية الفنّ فيه رسم « حوّاء »
لها الشباب الذي تشفي برُقيته … ما كابد القلب من صدّ وإغراء
لها الجمال الذي تعنو لعزّته … فيما تشاهد من ظل ومن ماء
لها الوداد الذي تبقى أشعّته … تنير خطوك في طوفان أهواء
كأنها الشمس إشراقاً .. تبادلها … مرآة قلبك لألاءً بلألاء
لا تكذب النفس في مجد حلمت به … فلست تحسن إلا قول « أهواها »

*

شغفتَ بالحسن لا تنفكّ تطلبه … عيناك .. حتى ولو في كأس صهباء
وليس أجمل ما في الكون من أثر … إلا اقتباساً بدا من شكل حسناء

(*) نائي : قيثارتي .

أنظر الى شفتيها هل ترى زهراً يفترّ عن نقط كالطلّ وطفاء
أنظر الى وجنتيها هل ترى شفقاً يلوح من شعرها في وسط ظلماء
أنظر الى ناظريها هل ترى ألقاً كأنه صادر عن كوكبٍ ماء
ما في الطبيعة من حسن فمنعكس عن صدرها البضّ في عينيك بالراء
وأطيب الطيب ما في الخلد من زهر وإنما غرستها كفّ « حوّاء »
فكيف تكبر من شأن الجميل ولا تثيبها عن يد قبّلتَ بيضاء
وما تؤمّل في الفردوس منفرداً لولا رجاؤك أن تحظى بلقياها ؟ »

٢٣ ربيع الثاني ١٣٥٦

الى ...

•

تعالي ! فان الليل يبسط ظله ... لكي يتملى ناشيء الزهر حلّه
وان فؤادي برعم في يد الصبا ... سأعدم نشراً منه ان لم أطله
وثمّ سرّ كامن فيه كالشذى ... ولم أتنشّق منه الا أقلّه
طوى باكياً كالزهر أولَ صفحة ... من العمر .. حتى يضحك العمرَ كلّه
ولحن كترجيع الرباب اذا انثنى ... عليه بخمس مطرب ... فاستهلّه
يوقّعه قلبي على وتر الهوى ... تباعاً ... فأقضي ليلتي أتولّه
ولا من نجيّ — إذ أحاول بثه ... كأحسن ما بث المحب هوىً له —
سوى شبح ان يطرف العين لمحه ... أينكر دمعي في الضلوع محله ؟

١٢ ربيع الاول ١٣٥٥

في سكون الليل

•

غفا الكون.. الا مايكون من الصبا ... اذا حرّكت مهد الزهور النواعس
تخالينها - يا ميّ - طهراً مجسماً ... على كل غصن في الخميلة مائس
ويحبس من أنفاسها الليل ريثما ... يخالطها برد الندى المتقارس
فترسل طيباً حولها في دوائر ... تدور الى أن يغمر الطيب هاجسي
وقد سكنت حتى المياه كأنها ... هنالك تصغي في الظلام لهامس
يصقلها مرّ النسيم فتنجلي ... بها صور الاشياء شبه رواكس
وينظر في مرآتها النجم حائراً ... فليس يرى إلا شرارة قابس
أنزعم أن الله أبدع هذه ... لنقضي ريحان الصبا في المجالس ؟

*

ولا طير إلا وهو طاوٍ جناحه ... على الرأس حتى المنكبين.. كبائس
تخالينه من لفّه الجيدَ ناعساً ... ولكنه - يا ميّ - ليس بناعس
فان لذكرى كل لحن شدا به ... سحابة يوم هزّة في المغالس
تؤرقّه تلك الهواجس موهناً ... فيشفق من جرّاء تلك الهواجس
وكم دوحة في الروض حال سوادها ... بأنوار بدر شعّ بين المغارس
ليلبسها من نسجه بعد عريها ... نقاباً لجنيّ السنا كالعرائس

وتحت شعاع البدر أسفرت المنى وعاينتها تحنو حنوّ الاوانس
تعالي هنا ... نخلدْ من العمر ساعة يداً بيدٍ في نجوة ونهامس

١٥ ربيع الثاني ١٣٥٦

ميّ

●

ولما تفيأنا ظلال خميلة تساقط مثلُ الدرّ فوق خطانا
وحدثتها بالحب – وهي مصيخة – على أمل ان تلتقي شفتانا
أشاحت الى الازهار عني بوجهها دلالا وقالت لي « كفى هذيانا
أتأمل مني ان أصدق بالهوى جزافا . . وطرفي لا يراه عيانا ؟ »

*

فقلت لها « يا ميّ ! ما الروض ناضرا ولا الطير احلى ما يكون لسانا
بأحسنَ من خدّ تورّد في الصبا وأعذبَ من ثغر يفيض بيانا
لقد كان أولى ان نمتع بعضنا بأنظار بعض في جنون صبانا
وما قيمة الازهار في جانب الهوى ألبس الهوى – ياميّ – اعظم شانا ؟
أناشدك الحبَ الذي عهدنا به سويا كأخفى ما يكون مكانا
ألم تشعري شيئا تمثل بيننا لأول عهد تم فيه لقانا ؟
أبعد تعاطينا معا كأس ألفة يجوز لنا الاّ نحسّ صدانا ؟
فمالك تستعدين قلبي على الهوى كأنك ما شاطرته الخفقانا !

*

تعالي الى عهد وثيق من الهوى نعيش عليه في الحياة كلانا

فلا يزدهي قلبي بشيء مؤمّـــل
اذا لم يصادف في فؤادك شانا

ونفرغ في كأس الأمانيّ حبنا
فتسعى به ما بيننا شفتـــانا

ولا نلتقي الا كما لقت الصبـــا
فروعـــا تفيـــأنا بهن أمانا

ونختال في روض المحبّـــة وحدنا
فـــلا يتغنى طيرهـــا لسوانا

وان تعهدي يوما فؤادك خافقا
شعرت لقلبي مثـــله خفقانا

كأن الذي ينساب ملء كليهما
صُبابـــة ما ساقي الغرام سقانا

وآنا نبكّـي كالطيور وجودنا
بلحن ... وكالازهار نضحك آنا

فنسعد بعضا باشتراك سرورنا
ونسعد بعضـــا باشتراك أسانا

كذلك نحيا بالسواء... وها فمي
ضمانا لعهـــد لو أردت لكانا »

*

فعندئذ مالت الحيّ ببشرهـــا
فأيقنت أنا شيقـــان .. كلانا

فأدنيت ثغري باشتياق لثغرها
فما افترّ حتى قبّلته حنـــانا

وطوّق زندي خصرها فتمايلت
عليـــه بغنج ريثما تتـــدانى

وقالت « اذن، هذا هو الحب »
قلت : « لا
بل الراح »
قالت « فلنبـــلّ صـــدانا »

٢٧ ذي الحجة ١٣٥٣

في نشوة الحب

●

ناشدتني إذ كنت بين يديهـــا جاثياً بالجمـــال أنعم عينـــا
وعلى ثغرهـــا ابتسامٌ خفيٌ أوّلته الخـــدود لونـــاً فلونا
وأخوها الذي أطلّ من الأفـــــق - على بعده - يصيخ إلينا
واحتفال النجوم من كل صوب لم يزل بالمراح يعـدي كلينـــا
«كيف تهوى هذي النحيلة دون الـــخلق طرّاً ... هلا تأملت زينا؟»

*

فتنـــاولت كفهـــا وتصنّعـــــت على حبها بدوري نشيجا
«كيف أهواك؟ انشدي البدر عني هو ذا في السماء يطوي البروجا
هل تكون الحياة - لولاك - الا ظلمة لا أطيق منهـــا خروجا؟
إن حبي اليـــك كالبحر لمـــا ترشق الشمس وجهه فيموجـــا
لا! بل الشمس عندما تتجـــلى من وراء السحاب تطلي المروجا
لا! بل الغيث عندمـــا يتوشى منبت الأرض من نداه نسيجا
لا! بل الروض عنـدمـا يتلقى قطرات الندى فيزكو أريجـا
لا! بل الطـير عندمـــا تتغنى فتضج الرياض منهـــا ضجيجا
ما كهذا الأخير حبي لا، بل هو من كل ذاك كان مزيجا

صور - يا أميم - شتى ولكن آلّفت من هواك معنى بهيجا »

*

فترامت عليّ في منتهى البشـــر وقـالت « لله درّ لسانـــك
أنا أخشى بأن تمتّع غـــيري بالذي استـدرّه من بيـــانك
أنت في عالم من الشعر فاتركـــه الى عالمي لأحظى بشانـــك
إن حبـــاً أبثّه لك لا يعـــدو أريجاً نشقت من ريحانـــك
غير أني أميل نحوك صـــدري والذي قد حواه طوع بنانك »

١٠ شعبان ١٣٥٢

بيني وبينها

●

قابلتها تحت سجاف الدجى ... وأعين النجم براها السهاد
في روضة تعبق ارجاؤها ... من حولنا مثل أريج الوداد
والورد قد أثقل أجفانه ... نوم ... فأحنى رأسه في المهاد
من بعد أن علّ لبان الندى ... من نهد أمٍّ في لباس الحداد

*

فلم تكد تبصرني واجماً ... أستلهم القول بذاك السواد
لأوفيَ الحسن به حقّه ... والحسن منها بين خافٍ وباد
فلا أطيق القول من دهشة ... كأنما شاكَ لساني قتاد
حتى دنت مسدلةً شعرها ... واتخذت صدري لها كالوساد
قائلة — رغم الذي شاع من ... وصفي لها — « يا شاعراً ما أجاد
ما لك لا تنطق .. هل زال من ... قلبك ذاك الحب لي والوداد ؟

*

أما ترى البلبل يفغي الى ... آذاننا ألحانه في اتئاد ؟
وكل ما في الكون يدعو الى ... أن نحتفي بالحب .. حتى الجماد ؟
كأنما الدنيا ازدواج .. فما ... شيئان إلا وهما في اتحاد

وانظر الى خدّيَ .. هل صوّحت زهرته فلا يفي بالمراد ؟
أم انطوى سفر شبابي الذي ينشر آياتك في كل ناد ؟
حتى تقاضيني بما لم يكن لشدّ ما أنصفتني في البعاد
أهكذا ألقاك .. أنت الذي قد هام من حبي في كل واد ؟»

*

فقلت «يا ميّ ! أما للهوى أن يبعث الشعر ودمعي المداد
حتى أجلّي كربة عانقت روحي وأوري من حياتي الزناد
لا تحكمي – إن لم أطق بثّ ما أشعره – بانني غير صاد
والله خانتني القوافي وقد عهدتها مسلسة لي القياد
يعجّ بالمعنى فؤادي .. فان حاولته فمثل خرط القتاد
كأنني طير على منهل يحوم .. لو أمكنه الارتياد

*

يا ميّ ! قد أصبحت من طول ما أعيانيَ الشعر عليل الفؤاد
أغرس في القلب بذور المنى شتّى ولكن .. خيبتي في الحصاد
لا أملك اليوم سوى دمعة أفصح عن حبي بها في انفراد
أهذه حالة أهل الهوى قاطبة .. أم أنا دون العباد ؟»

*

قالت : «أهذا كل ما تشتكي» واستضحكت كأنني غير جاد
وألصقت خداً بخد .. فما أحسست إلا جمرة في اتقاد
«لا تعذلِ الشاعر إن فاته ذاك البيان العذب أو ما أجاد
فانما الشعر له فترة كالبحر إذ يهدأ بعد اشتداد

وهل فؤاد ضاق ذرعاً بما   يحسّه إلا لعمق الفؤاد
والحب لو كانت له آية   ما ضلّ ذو الحبّ سبيل الرشاد
هلاّ بسطت الكفّ لي هكذا   وقلت أهواك ... ففيها السداد »

*

فما تمالكت لها دون أن   لثمت فاها ، حائراً بازدياد
وقلت « يا ميّ . أهذا الذي   تلقين لي درّ والاّ بجاد
هم حسبوني شاعراً .. أين لي   مثلك أنفاس تهز الجماد
هل أحسنُ الأفصاح عن كلّ ما   أشعره نحوك – جلّ المراد
أنت التي قدّرت من منطقي   تقدير من يلحظه بالوداد
أفديك ما ضمت ضلوعي وإن   يقلّ في حقّك حبّ الفؤاد
فكلّ ما أنظمه ملهماً   فملهمٌ منك – وربِّ العباد

*

فطوّقتني بذراعين كالطفل اذا رفّق في ما أراد
وبادلتني قبلة دون أن   تمهلني حتى أراها تعاد
ورنّ في أذن الصبا صوتها   لا تخمد الجذوة تحت الرماد

٢٣ ذي القعدة ١٣٥٦

القبلة الاخيرة

●

وقفنا .. ولمّا يشرق البدر طالعاً ولا سبقتـــه في السماء نجومهـــا
على جدول قد صقّلته يـــد الصبا فمالت مع الأغصان فيه رسومها
وخرخرة الأمواه أثناء جريهـــا على حجر يرفضّ منه نظيمهـــا
كترنيمة المانيّ عند عكوفـــه على ضوء نار في صلاة يقيمها
وكنت على ما بي من الحزن واجماً وكانت هي الأخرى كثيراً وجومها
فلما رأيت الصمت طال على جوى تركّبه أحدان الدموع وتومها
وعهدي بها ما شافهتني بغنـــة من اللحن إلا واستباني رخيمها
نطقت اسمها همساً لترفع رأسها اليّ فلم تفعل .. ولست ألومها
وأنّى تناغيني بسابق بشرهـــا وأنفاسها الحرّى تكاد تريمهـــا ؟

*

فلم يك بد أن أحدّث بالذي يسرّ .. وإن غال السعادة شومها
فقلت « انظري يا ميّ حولك الصبا تراود أزهاراً فيزكو نسيمهـا
والطير تشدو في الغصون صبابة الى إلفها - لا مسّها ما يضيمهـــا
والموج يصبو للتعانق بعضُـــه الى بعضه من غير أيد يقيمها
والغيم في حضن الغمامـــة يرتمي كما يرتمي في حضن أخت حميمها

رَيْ كل شيء في الحياة مسخَّراً   الى الحب .. موقوفاً عليه نعيمها
يخيّل لي أن الطبيعة مثلنا   تحس ولولا ذاك ما طاب خيمها
رأت ما بنا من لوعة فتألقت   كأحسن شيء .. شهبها وسديمها
لتنجاب عن نفسي ونفسك ظلمة   من اليأس لا يفضي لصبح بريمها »

*

فصعّدت الأنفاس من حرّة الجوى   وقالت « بودّي لو تعفّت رسومها
وأيّ عزاء لي إذا شطّت النوى   بأن خاتلتني في السماء نجومها
أتعلم هذا آخر العهد بيننا   وتبغي سلوّي .. أي حال ترومها ؟
أما ضمّنا وشك الفراق هنيهة   لنبكي حياة زال عنّا نعيمها ؟
وإن كان بالحب استتبّ نظام ما   نراه كحبّات حلاها نظيمها
فما بالنا نشقى كذا بودادنا   ونجرع كأساً لا يطاق حميمها ؟
أما نحن أولى من طيور جميلة   بألحان حبّ في الحياة نديمها ؟
أيُقضى لنا من دونها بتشتّت   فنرضى به إلا شتاتاً يضيمها ؟ »

*

فلم أتمالك دون أن ملت نحوها   وبين ضلوعي ما يكاد يقيمها
وقلت « ارفقي يا ميّ بالنفس حسبة   فديتك خوفاً أن تطيش حلومها
أأشفقت أن تُطوى صحائف حبنا   وهيهات ! في عينيّ خُطّ رقيمها
أبى لي قلبٌ طال فيك وجيبُهُ   وعينٌ هواها حيث أنتِ يشيمها
بأن أتملّى جرعة من زجاجة   إذا لم يكن ذكراك دوماً نديمها
أأسلوكِ ؟ لا والله حتى يعود لي   شبابي .. وأحلى الذكريات قديمها
ولو عاد لي حقّاً – اذاً لقضيته   كعهدك بي في لوعة أستديمها

وهل أشبهت دنيـاي إلا قلادة بديعاً دراريها .. وانت يتيمها ؟ »

*

فأدنت فماً مثل الأقاح منوّراً تودّع .. والأحشاء دامٍ كلومها
وقد أرسلت من شعرها حول وجهها ففاح كعرف الياسمين شميمها
وضمّت على الصدر البدينّ كأنما هنالك شيء بالعـذاب يسومها
فقبّلتها ما أسعف النفس الذي احتبست جنوناً قبلة أستديمها
وأشرق نور البدر من خلف غيمة فغادرتها .. والنفس ولهى ترومها

٦ ربيع الثاني ١٣٥٥

١

إن الطبيعـة لو تمثّل شخصها لبدت فتاة في ثياب حـداد
تبكي على وجه بحول وزهرة تذوي وحسن مشرق لنفـاد

صورتان

•

ولم أنسَ - يا ميّ - سرحي الانامل في شعرك الجعد حتى انسدل
وانسي بالبــدر - بدر السماء على نور وجهك .. لمــا استهل
وهمسي مثل الصبـا كلّما رشفت علـى شفتيـك العسل
« أمغمضة خجـلاً طرفها لمَ افترّ ثغرك تحت القبل ؟ » .
غداة توسّدت زنـداً وآخر دار على جسمـك المشتعل
فأنعشت روحي بطيب العناق كما أنعش الزهرَ في الروض طل
هنـالك أشبهتا وردتـين تبارك في وجنتيـك الخجل

*

فهل تذكرين بظلّ الكروم موقفنا ساعةً .. أو أقــل
ومن شرقنا حمرة في السماء فقـد أوشك الصبح أن يستهل
وإسنادكِ الرأس فوق الضلوع وهمسك كالطائر المنذهل
« تلمّس فؤادي .. وأين الفؤاد اذا لوعـة في الحشا تشتعل
أتدركنا الشمس قبل الوداع ؟ تزوّد - إذن - قبلةً بالعجل
وأخرى ... فقد كاد هذا الفراق يخنق منّيَ حتى الأمل »
همـا صورتان .. ولكن بجلّهما من شعورك معنى أجل

٢٧ رجب ١٣٥٤

القُبَّرة

●

نحوّم في أفق السماء أصيــــلا ... كنجم تراءى للعيون ضئيلا

فيتّخذ الصوت الذي تستجدّه ... مع الريح في رحب الفضاء سبيلا

بدقّ على الأسماع خافت جرسه ... فان أعلنته الريح جاوز ميلا

وتدركه شيئاً فشيئاً غشاوة ... من الحزن حتى يستحيل عويلا

*

أقبرّة ! هل أنت في الجوّ قطعة ... من الحسّ سالت باللحون مسيلا

تعالين في الألحان حتى اذا انتشت ... بها روحك الولهى خففت قليلا

كما تخفت الأوتار بعد رنينها ... ويبقى صداها في النفوس طويلا

فقد برأ الله الطبيعـة وهي لا ... تحسّ به .. حتى بعثت رسولا

فأحسنت في الترتيل حتى كأنما ... بآيك ظلّ الروض صار ظليلا

ولقّنتنا سرّ الجمال ولم نكن ... لندرك ـ لولاك ـ الوجود جميلا

فما زهرة في الروض تفتح جفنها ... على الدمع إلا وهي تنشد سولا

فتغرينها في شجوها بابتسامـة ... بذّك معنى للخـلود جليلا

١٠ صفر ١٣٥٦

عروس الماء

●

لذت خلف الغصون في عزلة لا أملّها
وحوالي خضرة بلّها ما يبلّها
من نهير زها على جانبيه محلّها
فاذا راقت السماء بدا فيه ظلها
وزهور يلوح كالقرط في الأذن طلها
جادها الماء قبلة ومضى يستقلها
وانبرى البلبل الوديع لها يستغلها
فكأنّ الحياة تمّت لحبّ ... كلها

*

أنا في نشوة أحدّث نفسي بما أراه
وأرى ملء ناظريّ حياة – هي الحياة
تحت ظلّ يكاد يشتعل الزهر في مداه
وسكون يمدّه بلبل بالذي شداه
وكأن الوجود يبسم حولي بما حواه
واذا بي أحس خلفي حراكاً على المياه

فتلفّتَ مستريباً الى النهر . . . من أتاهُ ؟
آه . . ! ماذا شعرت في الأثو تحت الضلوع . . آه !

*

وتواريت في الصخور وجانبت حدّها
وسددت الصدوع حوليَ ما اسطعت سدّها
حذراً أن تنمّ بي قبل أنْ استجدها
نظرة كالوميض تبتدر العين ردها
لا تسلني بمن رأيت فأضمرت ودّها
إذ تمثّلت كالشعاع على الموج قدّها
يتهادى منعّماً فترى الماء ضدّها
كلّما دافعته جلّل بالشعر خدّها

*

فتمنّيت لو دنت لي قريباً . . . كما هيه
فأرى شعرها يبلّلها وهي عاريه
وأرى طرفها تصدّ به صدّ عافيه
وأرى في تورّد الخدّ أشياء ثانيه
وأرى حقّتين وسطهما بعض غاليه
تستمرّان في النهوض وإن نحن جاثيه
وأرى الماء قد كساها على المتن حاشيه
فغدت من مهابة الحسن تبدو ككاسيه

*

وانثنت نحو ناتيء فانثنى الموج حفها
ترتمي فوق صدره بيد ... ما أخفها
فاستوت عنده بحيث ترى العين نصفها
فأمرّت على السوالف بالرفق كفها
تنفض القطر عن غزير من الشعر لفها
ثم قامت .. فطوّق الماء كالربط خلفها
غير أني غضضت طرفي عن أن يشفّها
هي حورية من الأنس .. والماء زفّها

*

وتريّثت مغمض العين لا أستبينها
ثم اني فتحتها بعد ان حان حينها
واذا بالنهار يسطع فيه جبينها
وهي تجري على الصخور بشكل يزينها
حائلا دون ملتقى فخذيها يمينها
فأرى من قوامها اللدن ما لا يشينها
وخطاها تكاد من جريان تخونها
ريثما تنتهي الى مستقرّ يصونها

*

وتخيّلت أنني قائم في جوارها
حين تنساب بالحرير — وان لم يوارها
حول ساقين عاطلين — يد [1] في سوارها

(١) فاعل « تنساب » في البيت السابق .

ثم تحنو لترتدي ما نضت من وقارها
فاذا عادلت به سرّة في مدارها
أرسلت ظلمة القميص على ضوء نارها
واذا ما مشت تموّج ما في صدارها
فتثنّي عليهما فضلة من خمارها

*

واكتست ... ثم أبصرت بي عند انحدارها
فاستقرّت ... كأنها صورة في اطارها

٢٧ شوال ١٣٥٦

في عيد الميلاد

قــلادة

●

قضيت شبابي بها مغرما فما كان ـ يا قلبُ ـ أحلاهما [1]
تعيش بأحلامه في ربيع وتحيا بأنفاسها ملهما

*

أتذكر يا قلب ! ساعة قربـ ـت من فمها في جنون فما
ومن حولنا الزهر في حالتيه ترقص ايقاظه النوّما
لقد كنت كالطفل فيما تحسّ واحساسها كان بي أنعما
فألهب من خدها جمرتين وفتّق من ثغرها برعما

*

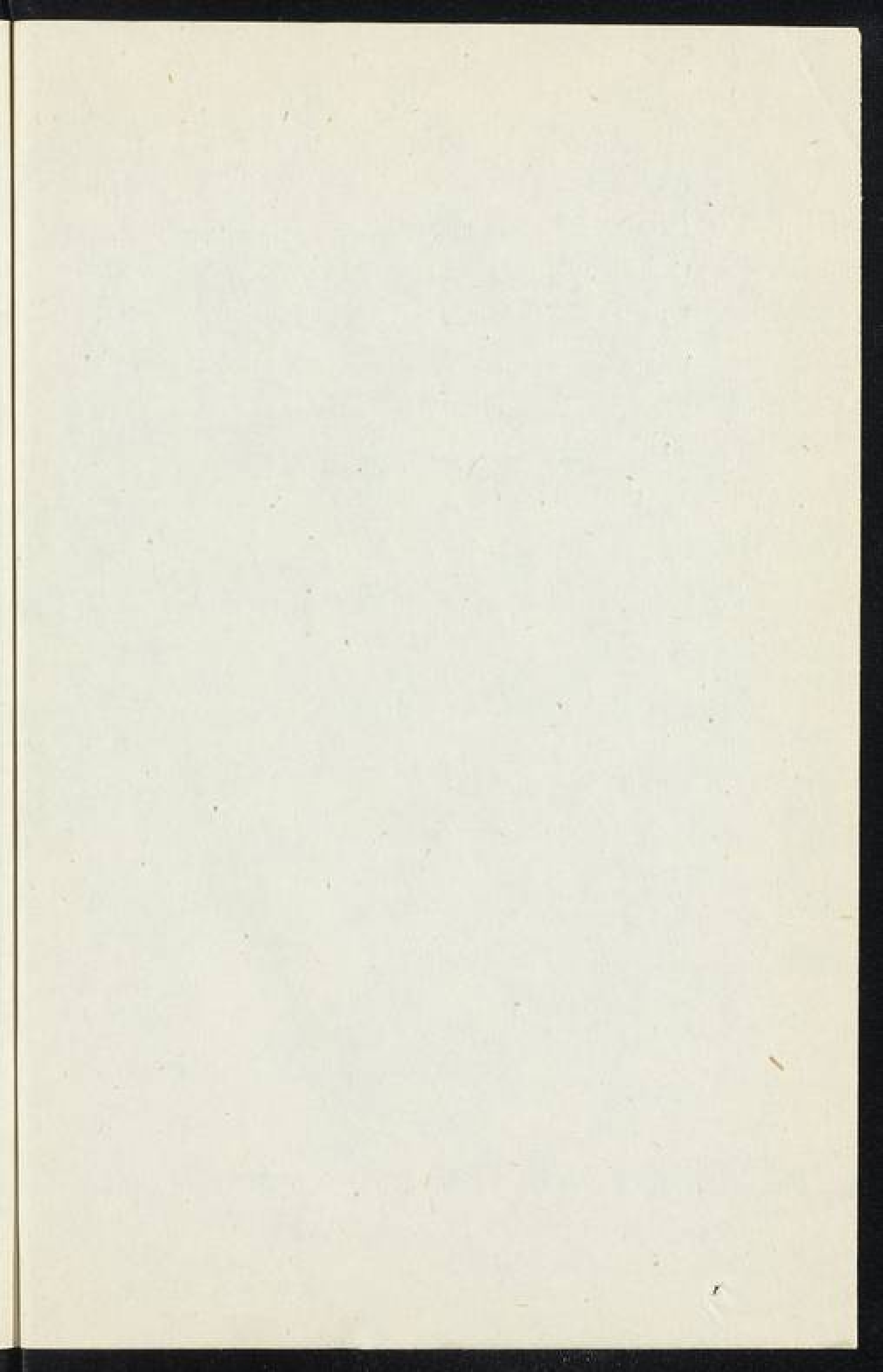
أتذكر يا قلب ! ساعة أرخيـ ـت فوق ترائبها منعما
قلادة درّ ـ زهت كالدموع حبّاته ـ توأماً توأما
وقولي « اقبليه فدتك الحسان فلو أنّ كفّي تطول السما
اذن لجعلت نثارك منه ونظّمتها ثانياً أنجما »

---

(١) هي والشباب .

فمدّت - لألثمه - معصما وألوت على سمطه معصما
وقالت « أتنذره هو أيضاً بتلك النجوم فما أثأما
ملأت به بهجة ناظريّ فصدّعت بي قلبه أعظما
أأحقر منشأه في البحار ولولا تألمه ما نما
أأنكر عبرته في الحلي ولم يبك الا لكي أبسما
فحسبي به زاهياً كالنجوم وان فاتني حظها في السما
على الارض لا يخلد الحسن حتى يقيم على نفسه مأتما ! »
فيا ليتني إذ سمعت الحديث عصرتك - لا أدمعا - بل دما

٢٦ ذي القعدة ١٣٥٩



قصص

توطئــة

•

دِنتُ بالفن صغيراً منذ شبّ الطفل فيّهْ
لعبة ترعى مجاليها العيون النرجسيه
من رأى الخالق كالشاعر يختار رويّـه
كلما وقّع لحنا مثّلته البشريه
فاذا المأساة والمهزلة اسم لقضيه
هي أسطورة حواء جرت في اثر حيّه
ان ترجّعها طيور الخلد أنغاماً شجيه
فهي في كوكبنا الارضي أوراق ندبه
طالما خضلها دمع ضحايا المدنيه
غير ان الدمع هذا قطرات لؤلؤيه
عطّر الفنّ - بما ندّته من زهر ندبّه

التمثال الحيّ

●

سكنت في الطابق المظلم من دار سويّه
غادة لا تملك القوت وبالحسن غنيه
هي في الاسمال لكنْ لها روحاً زكيه
سلبتها كل شيء ثورة الا النقيه
تتلوى كلما أبصرت الدار خليه
أين عنها أبواها في ظلام الابديه
وأخوها جدلته في الوغى كف شقيه
فثوى والعَلَمُ الخافق يلوي بالتحيه
كيف لا تبكي .. وهل أبقى لها الدهر بقيه ؟

*

خرجت تعثر في الذيل الى جار قريب
عاش بين الناس في عزلته مثل الغريب
وخط الشيب على جبهته شبه الندوب
أين في الدهر فؤاد لم يروّع بالخطوب

وأتته وهو في معمله جد دؤوب
ينحت الجسم من الصخر فيأتي بالعجيب
ورآها وهي في الاسمال تمشي كالمريب
ومن الجوع على الخدين آثار شحوب
فانثنى يرمق ذاك الحسن في صمت رهيب

*

ودنا من جسمها المحموم ... لكن بفتوه
ما لها لم تضطرب منه ولا خافت دنوه ؟
ان في عينيه – لا غضها – نورَ النبوه
من هواة الحسن للفن ... وان غالى غلوه
وأحست كفه تنتزع الثوب بقوه
فأرادت ستر نهدين .. حياءً ومروه
« انني انثى .. ألا تشعر أني فوق هوه »
قال « كُفي ! أنت من شيئٍ في ظل الابوه
لو تجردتِ سما الفن بعطفيكِ سموه »

*

فرمت ما كان لا يسترها الا قليلا
ثم قالت « ومتى تطعمني ؟ » . قال « أصيلا »
وجثت بين يديه في تعرّيها طويلا
وهو لا ينكر من قامتها الا النحولا
فانحنى يمتحن الجسم .. فروعاً وأصولا

ان في إطراقها – مغمضة – شيئاً مهولا
ثم لما سمعته فاه بالحكم جميلا
نهضت تبسم في الدمع وقد سال مسيلا
« هل لهذا الحسن ان يخلد بي جيلاً فجيلا ! »

*

وقفت عارية بين التماثيل كدرّه
تحمل الثغر على الضحك وفي العينين عبره
ومضى يقدر بالازميل في المرمر قدره
لم تحاول قط ان تثني جيداً فتضره
لبثت في وضعها ذلك يوماً مستمرة
انه يعمل للفن وهل فيه معره
هي لولا الجوع لم ترضَ بأن تصبر صبره
وهو في عالمه ... لو يدرك العالم سره
نظرةٌ يلقي عليها وعلى المرمر نظره

*

مالت الشمس الى الغرب .. وما زال مجدا
واستحال المرمر المسنون حتى صار قدا
فانحنت – من كفها – أنملة تسند خدا
فانجلى الصدر .. وفوق الصدر شيء يتحدى
واستدار البطن – في طيته – أحسن جداً
قال « لولا الجوع لم يبلغ من الغادة حدا »

ثم مد الراحة اليمنى على الفخذين مدا
إنه يخفي الذي فتنته عادت أشدا
فاطال الساق حتى شارفت في الكعب خدا
وبراها قدماً يحلو لها ان تستبدا

*

ودجا الليل ... فلم يلق الى الغادة بالا
غاية الفنان ان يبلغ بالفن كمالا
فطوى الشعر على الرأس كموج يتوالى
فجلا الجبهة غراء كمرآة تلالا
فأرى لمحة عينين تطيلان السؤالا
فلوى في جانب الاذن من الصدغ هلالا
وأقام الانف كالابرة حسناً واعتدالا
ثم لما جاء للثغر رأى فيه احتمالا
قال « لو يفتر هذا الثغر لازداد جمالا »
واذا بالصوت – صوت الديك – صبحاً يتعالى

*

تمت الدمية ... لا ينقصها غير الحوار
فانثنى يضحك للغادة في شبه اعتذار
« أنظري صنع يدي فهو جدير باعتبار
انها معجزة خالدة .. مثل النهار ! »
ورآها لم تحرك شفة .. والجسم عار

فدنا منها وفي أضلعه جمرة نار
واذا بالحود في موضعها - مثل السوار
جسد من غير روح مستمر في انتظار
انما الثغر - كما يهواه - في حال افترار

*

وانحنى بين يديها باكياً سوء مآله
وطوى حاشية الثوب عليها - في اعتلاله
« أنا ادعوك .. وهل يسمع ميتٌ صوت واله
« أنا افديك.. وهل يجديك شيء في ابتهاله ؟! »
ثم القى نظرة حائرة نحو مثاله
فرآه يحدق الطرف .. ولا يرثي لحاله
فأتى في اليأس أمراً لم يكن قط بباله
اذ رمى قطعة صلد شوهت بعض جماله
ومضى يعثر بالشيء ويهذي في اختباله

*

وقف العالم ما بين الجماهير خطيبا
قال « تروي بعثة الشرق لنا أمراً عجيبا
بينما كانوا يجوبون الصحاريّ .. جنوبا
عثروا فيها بتمثال - سأجلوه قريبا
يعلم الله ، لئن ألفي في الزند معيبا
فهو ما زال على العيبة يستدمي القلوبا

إنه أجمل تمثال لحسناء أصيبا ،
وأزاح الستر عنه فاستهل الكل ، طوبى
خلدت في المرمر الصلد يد الفن حبيبا ! »

١ ذي الحجة ١٣٥٦

من مشاهد المسرح

قلب راقصة

مهداة الى روح الاستاذ الرافعي

●

في مسرح للغرب حيث الشمس تشرق في الليالي
ورواقه كالموج يزخر بالنساء وبالرجال
يتضاحكون.. فلا ترى الا الكواكب في اشتعال
والبنت يجذبها فتاها.. فهي تخطر في اختيال
طوراً هنا..طوراً هناك..لكل ركن فيه خال
والكل منهم مشرق الوجنات محبوب المثال
وقف الفتى الشرقي لكن قلبه في غير حال
تحت الشعاع يرى الجسوم كأنها بعض الظلال
ويكاد يفصح طرفه عما يكنّ من السؤال
« يا عين! حسبكِ ههنا ما تنشدين من الكمال
تلك الحقيقة بينهم تنساب في حلل الجمال
هل ترقبين بأن يزاح الستر الا عن خيال ؟ »

*

ومضى يحدث نفسه لا يستقر به مكانُ
ويرى بناظره مفاتن ظل ينكرها الجنان
وما هذه الا السماء وتلك أنجمها ... الحسان
في كل ركن كوكب وبكل زاوية قران ،
حتى اذا أزف الدخول وطال بالجرس الأذان
وتهلل البهو العظيم بسر ما همس البيان
فكأن للأنغام أشباحاً لها في الرقص شان
هي والصدى أبداً كنار يستقل لها دخان
دخلوا جميعاً صامتين ... كأن صمتهمُ بيان
فمشى يوازن خطوه ويميس من طرفيه بان
حتى تخيّل انـه ملك .. وتلك هي الجنان
وثوى على كرسيّه بهرا وليس له لسان

*

وانجاب ذاك الستر عن غيداء ترفل في صباها
تمشي وئيداً والحرير يشفّ عن أدنى خطاها
ملمومة كالوردة البيضاء في ورق حواهـا
حتى اذا وقفت ازاء الخلق يبهرهم سناها
نشرت ملاءتها الرقيقة من حواشيها يداهـا
ومشت تلوّح باليدين كأنها ترعى انتباهـا
وتدور دورتها فينعكس الضياء على حلاهـا
كم بالغت في الميل حتى كاد ان يطوى قفاهـا
ثم استوت فوق الأصابع كالحشائش في رباهـا

يهتزّ منها كل عضو نَعمةً .. حتى حشاهـا
ونهم طوراً ان يوازي موضع الأبهام فاهـا
فترى تفتّح جسمها كالأقحوانة في نداهـا

*

كانت تمثـل فتنة وتثير في الجمهور أخرى
وكأن بين ضلوعهم قلباً أبى ان يستقرا
يشتدّ في الخفقان عند دنوّها .. حتى تمرّا
لا بل يتابع موطأ الخطوات بالأنغام تترى
فاذا نأت أضحى بأعينهم يجاهـد مستمرا
حـتى يشاهد من شبابيك النواظر ما تحرى
وكأنها ألفت بهذا الحال منهم فهي سكرى
تغري الشبيبة بالفتون ولا تبالي حين تُغرى
وتظـلّ تلعب بالملاءة حولها طيّـاً ونشرا
حتى اذا عطفت قبـالة ذلك الشرقيّ صدرا
ألقى عليها نظرة كالطفل .. بـل كانت أبرا
فتحسّ مهجتها لأول وهـلة بالحب .. سرّا

*

قالوا .. وكان فتى من الامراء ينفحها بمالِ
حتى تقوم بغنّها ريّا عـلى وجه الكمال
فاذا رأته تمثّلت في شخصه غرب النوال
فتشعّ عيناها على عينيه بالسحر الحـلال

وتصدّ أحيانا صدودا فيـــه ألوان الدلال
إما بارسال الشعور عــلى ترائبها الصقال
او ضربها بيـد التحيّة فوق حاجبها الهلالي
« أوَ كل هذا في سبيل رضاه باذات الجمال ؟ »
واليوم يشهد رقصها الفنّي لكن في انفعال
فيحنّ شوقا اذ يرى فيها الأنوثة في احتفال
ترنو رنوّ الظبية الكحلاء بين يـدي غزال
هي حالة غير التي قد كان يعهد في الليالي

*

وتمرّ من قرب الأمير فلا تبادله ابتسامه
فيغضّ عنها الطرف مشدوها .. وتخنقه الندامه
وكأنما يستعرض الصور التي مرّت أمامه
اذ كانت الحسناء تحجب أفق مطلعها غمامه
هي لم تكن في مخلب الأيام الا كالحمامـه
فاستنقذتها كفّـــه وتعهّدتهـــا بالشهامه
واليوم ها هي أصبحت في وجنة الاحسان شامه
فيقوم كالمأخوذ من كرسيّه .. فترى قيامه
فتظلّ شاخصة اليه لعلها تبقي غرامــه
والبهو بالخلق الذي يحويـه يلتطم التطامه
وكأنما شفتاه تلفظ للجموع .. مع السلامه
فتخرّ فوقَ منصّة التمثيل بائخــة أمامه

*

بقيت لَقىً[1] مثل الفراشة في تهافتها السريع
والناس تحسب أنها جرت من الرقص البديع
لما رأوها لاتحرّك ساكنا .. غير الضلوع
وعلى سماط الصدر فاكهتان ملء يد الخليع
حتى اذا أبدت فتورا كالذي اثر المجموع
وتمايلت طربا وهمّت في غناها بالشروع
ساد السكون على الجموع كأنهم صور الخشوع
غنّت غناء الأم أوّل ما تُهوّدُ للرضيع
فتبثّ ما في قلبها من صورة الأمل الرفيع
أرأيت نور الشمس صبحا كيف يؤذن بالطلوع ؟
ومضت ترجّع باللحون .. كأنها طير الربيع
ظلّت لها الآذان تشرق - كالنواظر بالدموع

*

ما أوشكت ان تنتهي من نبرة يحلو صداها
اذ رنّ بالتصفيق ذاك البهو تصفيقا تناهى
فتلقّتت محمرّة الخدّين من خجل عراها
مضمومة الكفّين فوق الصدر .. خائرة قواها
مفترّة الشفتين عن برد جلا لاثم فاها
فكأنّها معنى الأنوثة قد تجسّم في رواها
والكل يهتف أن تعاود فنّها ويقول « واها ! »

---

(١) اللقى : الشيء الملقى المطروح .

وتساقطت باقات زهر حولها خضل جناها
فتناولت زهرا ولمّــــا قرّبته الى لماها
ألفت به صوب الجموع لمن تعلّقـه هواها
واذا بزهرتها يفوز بها .. أتدري من فتاها
هو ذلك الشرقيّ في أحضانه عبقت شذاها

*

ثم استقلّ بها الستار ... كأنه قبر حواها
وتألقت في البهو أنوار المشاعل في قناها
وتحدّث الجمهور عنها ساعة .. حتى سلاها
وانفضّ ذاك الجمع . . لا عادت تراه ولا يراها

١٩ محرم ١٣٥٧

من صميم الصحراء

إنسانــة الحيّ

•

استمرّت ذكاءُ شاخصة من مغيبهــا
وعلى اليد حولها أثر من شحوبهــا
صفرة ... شابها من الظلّ ما يزدهي بها
وكأن الرمال في لجّة من كثيبهــا
تارة تكتم الرسوم وطوراً تشي بهــا
وتوارت فأعلن الأفق منحى غروبهــا
ثم أرخى سدوله الليل ... تندى بطيبها
فتظلّ النجوم باسمــة من ثقوبهــا
أيّ طيف أثار رحمتَها في قلوبهــا
إنها غادة عــلى موعد من حبيبهــا

*

غادة في وجوهها كالدمى البيض ساحره
من خلال الخيام تحدق في الليل حائره

تطرق الرأس كي تصيخ الى النوق سادره
ثم تلقي بطرفها حولها كالحاذره
لأقلّ القليل من همسات العباقره
واذا قلّبته ترسم في الأفق دائره
لا ترى في الظلام غير يد الله قاهره
يُثقل النوم جفنها ثم تخشى بوادره
فتناجي بكفّها أنجم الليل . . . حاسره
« جنّحي يا عرائس الليل باليمن طائره »

*

لمحت شخصه على تلّة من تلالها
فتثنّت . . . كأنها بانة في اعتدالها
بعد ان نفّضت عباءتها من رمالها
ومشت - كالقطاة - ناهدة في اختيالها
وهي توحي لصدرها خفقات انتقالها
ثم حيّته عند نار قرى في اشتعالها
لم يكن حولها ولا واحد من رجالها
وعلى ثغرها ابتسام جزى عن مقالها
فرأى ما يزيد في حسنها من دلالها
ظبية في كناسها ملء عينيْ غزالها

*

طلعا فوق ربوة رفّ كالليل ظلها
وعلى قلّة من الرمل ضافٍ محلها

من وراء الخيام حيث تُرى البيد كلها
بسطت كفّــه الرداء الى من يجلهـا
خشية ان يمسّهـا من ندى الأرض طلها
وهناك استمر في حظوة لا يملهـا
لم يعب حسنها سوى أنـه يستقلهـا
ظمـأ في لماتـه هل لها ما يبلها
غير أنفاس ساعـة في الدجى يستغلها
فتعـاطى من الحديث مُداماً يعلهـا

*

ناولتـه يمينهـا فحنا فوقها الشفاه
هامساً بين قبلتـين - تشفّان عن جواه
بلسان مبلبل - بعض ما جاش من هواه
واسمها في حديثه دائر دورة الحيـاه
ثم القت بطرفهـا في فتور الى الفلاه
فترى في شروفـه قمراً مرسلاً سنـاه
يملأ البيـد فضة دونها فضـة الغزاه
فتناجي حبيبهـا لو يراه كما تراه
أفيُلقي لغيرهـا باله . . . وهي في سماه
إنما في سواد ناظرهـا كل مشتهـاه

*

هاهما - والنجوم ترعاهما - وهي زاهيه
صورة حـلوة لقرّة عين بثانيـه

انها كالرضيع بين ذراعيه غافيه
وإلى الشعر من غدائرها في ترامية
أرج كالنسيم ينفح من كل ناحيه
كلما سرحت اناملها فيه ساهيه
مال من فوقها لينشدها فيه قافيه
ثم يغزو بثغره ثغرها.. من حواشيه
فيمس الشفاه وهي تحاذيه راضيه
ربما تصبح الشفاه من الحب داميه

*

تصهر الشمس جمرة القيظ في البيد ثانيه
فتبين الرمال بين يديها كما هيه
وعلى الرمل حبة من لآل ثمانيه
هي قبل الصباح كانت على جيد غانيه

٢٣ جمادى الاولى ١٣٥٧

من اصداء البحر

بين عشية وضحاها

•

١

على شاطىء البحر في قرية	تلوح بعزلتها الدائمه
كأن الدجى لفها بالسكون	فما برحت دهرها نائمه
تطل عليها عروس النهار	فتلبث في جوها حالمه
وللبدر في افقها قبلة	تطول . . . ولكنها ناعمه
بناء يذكر سكانها	بشامخ أبنية العاصمه
يقيم به نائب . . . امره	مطاع . . . وسطوته غاشمه
فلو أيقظ البحر أمواجه	لمرّت بأعتابه لاثمه
كذلك كان شعور السواد	من الذل نحو اليد الحاكمه
واكواخهم وسط هذا الاطار	تموج بالوانها القاتمه

*

وتفتح نافذة القصر خَوْدٌ	مساءً . . . وتمعن إمعانها
فيحلو لها أن ترى الشمس تسجد	سجدة شكر لمن زانها
وهبها توارت وراء الغيوم	فهل تنكر الارض إحسانها

ويعرض مرآته البحر حتى تجمّل - سافرة - شانها
وأمواجه في هدوء امام النسيم تلملم أردانها
فلا هو يتركها تستقر ولا هي تهجر شطآنها
وتبصر في قارب فتية تمدّ الى الصيد أشطانها
فيغمرها فرح بالحياة فتعلن للقصر عصيانها
وتخرج نشوى على رمله تردّد كالطير الحانها

*

وتركب في زورق كالهلال يعوم بها نجمة زاهره
فتأخذ في جذفه باليدين وفي صدرها موجة زاخره
ويلثم فاها نسيم الأصيل فيندى بأنفاسها العاطره
الى ان تغيب وراء السديم بعيداً باحلامها الطائره
ويدركها أول الليل عند فنار .. يغضّ لها ناظره
فتشهد مركزها في الظلام ومن حولها الافق كالدائره
وتلمح من بعد قصرها يدلّ بأنواره الباهره
فتثني أعنتها للرجوع .. .. ولكنها ترتمي خائره
ويستيقظ البحر بعد الهجوع ليملي ارادته القاهره

*

ويشرق احساسها في الصباح مليـاً على همسات البشر
فتملكها رعشة للذي يمر على ذهنها من صور
وتذكر ما كان من حظها ومن حظ زورقها المنكسر
وكيف تقوم بها موجة وأخرى على جانبيها تمر
فتصرخ صرختها للحياة وفي حلقها نَفَس يُحتضَر

فتمدّ كف لأنقاذهـــا … من الغيب... ذلك ما تدّكر
وتشعر بالدفء تحت اللحاف … فتعجب كيف احتوتها السرر
وتفتح ناظرهـــا بعد لأي … عـــلى شبح قائم ينتظر
يناشدهـــا وعلى ثغره … بنان تشير بأن تستقر

*

وتستغرق الخود فى نومهـــا … وتأخذ حظّاً من العافيـــه
ويفـــترّ في شفتيهـــا دم … كطلّ على وردة زاكيـــه
وتحت يديهـــا يزلّ النصيف … عن برعمي صدرها ناحيـــه
وملؤهمـــا عزّة بالجمـــال … جمال أنوثتها الغافيـــه
فيحنو عليها الفتى في خشوع … ويستر أطرافها العاريـــه
ويعزف لحنـــاً عـلى عوده … يذكّر عهـــد الهوى ناسيه
وينبعث النغم العـذب من … تململ أوتاره القاسيه
الى ان تفيق فتاة القصور … وتطرف أهدابها ثانيـــه
فتبسط راحتها كالغريق … وفي ثغرها قبلة طافيـــه

*

ويسألهـــا عن عهود الصبا … وأترابها في القرى .. من همُ
فتغضي حياء .. وفي رقـــة … تبوح له بالذي تكتم
« يداك تجودان لي بالحياة … فشكراً على الجود يا منعم
وهبتك قلبي فخذني اليك … ومرني أطعك بما تحكم »
وتلبث في صمتها برهـــة … ليفهم منهـــا الذي يفهم
ولكنه لا يحير الجواب … كمن رابه أمرهـــا المبهم
فتنطق باسم أبيهـــا له … وتبسم .. يا حسن مـا تبسم

فينفر منهـا نفور الظليم وقد ثار في مقلتيـه الدم
«أأنت ابنة النائب المستبد وأهواك .. اني اذن مجرم»

*

فترجع للقصر عنـد الاصيل طريدة آمالها الخائبـه
قضت يومها حافـلا بالشعور كأحفل أيامها الذاهبـه
فتشعر مثـل شعور الغريب وان لم يطل عهدها غائبـه
فترنو الى البحر .. حتى تراه يسيّر في موجه قاربـه
فتنشده حبهـا لو يصيخ وتذري له دمعها عانبـه
«أيا حاسراً زنده للبحـار تـذوب له حسرة كاعبـه
أسأت بي الظن حتى خجلت ولم تـك في نيتي شائبـه
ضربت بحبي عرض الجدار وأنكرت من سؤددي جانبه
وغاظك أن أبي ظـالم ألست بظلمك لي صاحبـه»

*

وتخنقها عـبرة في النعيم تلهب من لونها شاحبـه
ويمضي لطيّتـه ضاحكاً يؤدي - على بؤسه - واجبه

٢

توالت على القصر عشرون عاما أسابيعهـا مثل أعيادهـا
توافي الفتاة عروساً .. فزوجاً .. فأمـاً تحنّ لأولادهـا
وأعلقهم بحشاهـا ابنـة فدتها الأهالي بأكبادهـا
تغني .. فتصغي اليها الطيور وتطرب من حسن انشادهـا
وتلمح صورتها في الميـاه فتضحك من قول حسادها

ولو انها نزلت في الجنان لأزرت بأجمل أورادهـــا
يخف اليهـا نسيم الربيـــع يذكرهـــا يوم ميلادهـــا
ووالدها غائب في البـلاد يقوم بتنظيم أجنـــادهـــا
فيكتب مستملحاً لو تسير اليه فيحظى باسعـــادهـــا

*

وتصحبها امهـــا للسلام على زوجها .. وهي لا تبتسمْ
فقد علمتها صروف الزمـان بأن الطلاقة شيء يـــذم
بذم ، ولابنتهـــا نظرة تبش الى كل وجه .. وفم
وتجري بها الفلك وسط البحار وأمواجهـــا دائمـــاً تلتطم
فتلقي بها تارة كالدلاء وترفعهـا تارة كالعــلم
الى ان يلوح لها ـ حيث لاح قديماً .. فنارٌ بنير الظـلم
فتذهل واجمة . . . كالذي يرى شبحاً في ثنـــاياه دم
وتذكر حباً خلا في الوجود لشخص طوى صفحتيه العدم
فتبسم . . لكنّ في نفسها مرارة ذكرى تثـــير الألم

*

على ان ذاك الفتى لم يمت فقد صار نابغة في الفنون
تلقى من الكون إلهامَهُ ومثّل آياتـــه في اللحون
فما هي الا الضحى في امتـداد وما هي الا الدجى في سكون
كأنّ على يده العود طفـــل يبثّ الورى شجوه بالأنين
يرنّ .. فتقطر منـه القلوب وتأخذ موضعهـــا في العيون
ويصغي اليـــه المحب الغيور ويدرك في الحب سرّ الجنون
وتنعطف الأم نحو الرضيع وفي صدرها جدول من حنين

ويحلم بالمجـــد طرف الجبان ... وان ذاق في المجد كأس المنون
لأن المعانيَ من كل لونٍ ... تفوز بمجاوتهـــا في الرنين

*

ويبصرهـــا وهو في محفـل ... يوقّع أنغامـــه في الغزَلْ
وقد حوّل الصمتَ تلك العيون ... شفاهـا .. تدلّ على ما تدل
فيذكر زورقها في الظـــلام ... ومشهدها تحت ناب الأجـــل
فيشعر بالوخز – وخزِ الضمير ... – على قطعـه حبلَها المتصل
فينشد .. والعود بـــين يديه ... يرجع كالطفل ما يرتجـــل
« أما كان حاضرنا – يا هلالُ – ... عشيّة ضاقت عليهـــا السبل
فألقيت نفسيَ وسط الغمار ... و دركت فيها بقايا الأمـل
كأني – وقد حضنتها يداي ... – أودّ لهـــا في ضلوعي محل
ولو نزلت في صميم الفؤاد ... لعزّ على غلّـــتي ان تُبل »

*

وتطرب من لحنه البنت حتى ... تناشده ان يعيـــد الغزل
وتسأل عن شأنه من يكون ... فتجذبهـــا أمهـــا بالعجل
وتهمس في أذنها دون أن ... يرى الحفل ما مسّها من خجل
« بنيّةُ ! هذا فتى من قراك ... تعرّف بي في الصبا المرتحـل
وخيّل لي أنـــه ميّت ... ولكنّ لله شأنـــاً أجل
أغرّك منـــه النسيب الجميل ... عـــلى ثغره يشتهي كالقبل
دعيه .. فعهدي بقلب طواه ... –على فنه – مقفراً .. كالطلل »

١٧ رجب ١٣٥٧

بين الروح والمادة

الشاعر المجهول

مهداة الى الاستاذ دريني خشبة تقديراً لفنه الجميل

●

١

سمعت أختها تغني بشعر ... فيه من لفحة الجنان بقيّه
وهي تحبو المرآة بين يديها ... باختلاج الجفون شبه تحيه
فأحسّت احساس «حواء» لما ... نظرت في معالم الأبديه
وتراءت لها المعاني زهوراً ... خضّلتها الدموع فهي نديه
فأصاخت .. وقلبها في وجيب ... تتملّى من اللحون الشجيه
واختفى الصوت في صداه ملياً ... من رأى كيف تخفت القمريه..؟
فاستدارت بوجهها ثم قالت ... كالتي في فؤادها أمنيه
« انك اليوم تشعرين بوجد ... فمن العاشق؟ اصدقيني أخيّه!»
فتلقت سؤالها بابتسام ... لاذ فيه الحياء بالسخريه
« أنت – والله – لاسواك سباها ... شاعر نجهل اسمه بالسويه »

*

فرنت نحوهـــا رنوّ غزال وطئت رجله على الأشواك
« عجباً .. أنت تنكرين هواه فلماذا غنّت بـــه شفتاك ؟
أنت لا تشعرين بالوجد.. لكن أثر الوجد ظاهر في غناك
كل بيت كأنه قبـــلة خـّـــص بهـــا الشاعر المتيّم فاك
ليت شعري! أكنت تروين شيئاً عنه لو لم يكن يحقّ فناك
أو أعياك عن جوابي لسان أوقع الحبّ أمره في ارتباك »
فاعترى أختها سكون وقالت « أنظري! كيف تعلنين هواك
أكتمي ما أردت.. لا تستطيع الـــهدب ردّ الدموع بالأمساك
أنت ترجين ان أبثك ما بي ثم تطوين عن فؤادي مناك
ما الذي أنكرته أذنك الا وترُ رنّ في يمين ملاك »

*

فارتمت كالذي أصيب بـــبرد تنشد الدفء في جناح الأخوه
واستقرّت برأسها فوق صدر لم يزل باذلاً اليهـــا حنوه
فحوتها يدان عوّضتا في حالة الضعف بالمحبـــة قوه
وبح قلب المشوق.. لو فضّ عنه خاتمُ الغيب لم يغالِ غلوه
وجرى دمعها سخيناً.. وأعيى قلبها ان ينال منه سلوه
« فدتكِ أختاه، لم أرد بك سوءاً أنت مثـــلي محسودة بالفتوه
غير أني أشفقت ان تقذفيني وكلاني على شفا جرف هوه
ان هذا الذي سمعت نشيد لهزار في الجوّ يعـــلو علوه
هو من مرتقاه يحدو كلينا لو دنونا من الألـــه دنوه
رتليه .. ثم احكمي بالذي شئت على شاعر .. بروحي سموه »

*

(أنا في هيكل الطبيعة عود قائم وسط مجمر في اتقاد
واللهيب الذي تصاعد منه هو في قده لسان ينادي :
« يا إلهي ! جهلت كنهك لكن في مرايا الوجود ظلك باد
كلما جال في الطبيعة طرفي خلت حياً ما لاح لي من جماد
كم ارى في السحاب يبكي على الارض مثالا للوعة الاكباد
كم ارى في الورود تلطمها الريح خدودا تدمى من الاجهاد
وكأن الحياة ديوان شعر لم تكن فيه غير معنى معاد
ان في العين ومضة لبروق تتحدى - بالصمت - رعد الفؤاد
والذي غادر العقول حيارى سر هذا الجمال في الاضداد
كل شيء اراه اتقن صنعا كأحبه .. بدافع من وداد
فلأعزاز من – تباركت يا رب ! – تعالى يداك في الايجاد ؟)

*

رتلت بعضه بلحن حزين ثم القت على البقية نظره
وامرت على الجبين يداً ترعش – كالطفل – مرة بعد مره
ثم قالت « أليس فيه غموض حبذا لو جلا لسانك سره
أنا لا أغبط الفتاة التي تحمل شوكاً – لان كالورد عطره
هل أرى البحر زاخراً بين جنبيّ وأرضى من الحياة بقطره
لك ان تضحكي اذا شئت مني – في سرار – فلن ارقرق عبره
قيدتني بالارض آمال نفسي فبميزانها أحب واكره
اي نفع أجنيه ان طار قلبي اثر شاد أحلامه في المجره
غرني شدوك الطروب .. ويا خيبة من يستميل شدوك صدره

اي حسن في مقطع من نشيد كل معنـــاه في تلهب جمره »

*

ثم عادت تقلب الطرف في المرآة .. والوجه زانــــه الاشراقُ
جسد شف عن تقاطيعه قرطف صيف – كمزنـــه رقراق
تحته هيكل يدل بنهديها . . وفي عزفه المعاني الدقــاق
ان في عقـــده لدراً ثميناً هو اغلى من كل دمع يراق
ورأت اختها تطيل اليهـــا نظرة – ملء دمعهـــا اشفاق
فاستمرت تقول « ما الشعر ديراً
لبتول . . بل جلوة وصـــداق
ليت شعري ! ماذا عرفت عن الحب سوى انه دموع تراق
ذاك عهد مضى ونحن بعهد شرعُه الحبُ نظرة فاشتياق
نشرت امس في المجلة غفلا قطعة – كم خلت عليها رفاق
أنا عصرية . . أحب من الشعر الذي فيه قبلة . . وعناق »

٣

خطبوها اليه بعد جهـــاد دام في درسه « الحقوق » طويلا
ذات حسن . . حازت تراث أبيها مع أخت أشدّ منهـــا قبولا
فهما تسكنان قصراً على شا طيء نهر عن المحطـــة ميلا
وتمرّ الأيـــام وهو عزوف عنهما لا يجيب للقلب سُولا
فاذا زار زار عن غير وعـد مثقـــلاً بالهموم مضنى كليلا
فيوافيهما معـــاً تحت سرح حيث لا تعدمان فيئاً ظليلا
فيرى عرسه أليفـــة صمت مثلما أنهـــا تراه ملولا

ويرى أختها تشاطره الو ّد ..وكم كان من هواها خجولا
فاذا قام عنهما شيّعته برجاء ألاّ يغيب طويلا
أهو في أفقها سحابة صيف فهي تخشى من ظلها ان يزولا ؟

*

وتلاقيه ذات يوم وحيداً سائراً في طريقه .. فتريده
ويسيران - بعد - جنباً لجنب هي تحكي وما حكته يعيده
تحت أفياء كل غصن رطيب لأقلّ الصبا يطول سجوده
واذا افترّ ثغرها بابتسام عاين الدرّ كيف يزهو نضيده
ويعود الحديث في الزوج حتى يتجنى بأنها لا تفيده
انها لا تحسّ بالشوق الاّ حين يأتي من الضواحي بريده
فاذا حلّ قصرها هو .. لاذت بسكوت تضيع فيه جهوده
« لا تقولي بأنني لست أهوى مثلها الشعر .. كم حلا لي جديده
غير أني أضيق ذرعاً بنفس تتغنى به وليست تجيده
هاك في الشعر قطعةً من غرام نشروها غفلاً .. فداك عميده »

*

شهيد هواك

(أذرف الدمع حسرة للقاك وأبثّ الذي أكنّ .. سواك
هل يموت الغرام الا ليحيا كلما جدّد النوى ذكراك
هكذا دائماً أقضّي نهاري مبسمي ضاحك وقلبيَ باك
فاذا ما خلوت ليلاً بنفسي حدقت بي في نجمه عيناك
ليس بين الضلوع غير فؤاد خافق لم أزل به أرعاك
ولو اني ملكت قلباً سواه لرعى صنوه هواك - كذاك

فاقبلي في الأقل - ان لم يكن حظ التقياك - قلب من يهواك
جل ما أرتجيه حين أوافيك على ان أبلغ الحب فاك
فأريني كيف السبيل فقد أشقاني الحب ان أنال رضاك
واذا لم يكن من الموت بد فاتجدد لي بكأسه يمناك
فهناني في ان أخر لعينيك صريعاً - أقضي شهيد هواك)

*

فارتمت في ذراعه وهي سكرى
مغمض جفنها على أحلامه
ثم قالت « لا فض فوه لقد تاق فؤادي له بدون لثامه
ماله ساتراً عن الناس وجهاً لمحوه كالبدر خلف غمامه
حبذا لو عرفت من هو حتى اتغنى بشعره . . في غرامه
قد حفظت الكثير منه وكل سلك الدر متقناً في نظامه
لو كذا يفصح الذي يضمر الحب للاقى شفيعه في كلامه
أي قلب قاسٍ تولاه حتى يرتضي في سبيله بحمامه
ورأت دمعة ترقرق في عينيه حتى تسيل . . من آلامه
فتحس الذي يحس من الوجد فتدنو . . وثغرها في انضمامه
ثم يفتر للشفاه التي تحبس انفاسها - على استسلامه

*

وترى اختها القصيد فتلقي نظرة نحو زوجها بحياء
أو ما في فؤادها هي ايضاً خفقان على الحبيب النائي ؟
ثم تفضي برأيها في سكون ألفته من عادة الاصغاء
« ان هذا النشيد انغام نفس وقعت في حبائل الاغراء

هبطت من علوها .. فهي تشكو حمأ مسها من الغبراء
أنظرا ! كيف صورت شبح الموت قريباً - لأنها في شقاء
هي قد لا تحس في الحب الا عرية الجسم .. غارقاً في الدماء
أنا في الحب لا احس كهذا وهل الحب غير لحن الرجاء ؟
حبذا لو اطبق للشاعر المجهول شكراً - على اليد البيضاء
أنتما تنكران صمتي . . ولكن أنا أحيا في عالم الشعراء »

*

وتوالت على لقائها عشرون يوماً ما قر فيها قرارا
انه كالسجين في القصر من حب التي لا يطيق عنها اصطبارا
وهي الآن لا تحوم قريباً فاذا صادفته فرت فرارا
هي اغرته ساعة من نهار أسدل الليل دونها الأستارا
هي تأبى عليه - حين يراها حرة في ابتذالها - أن يغارا
أي شأن له . . وثمت فتيان كثيرون فهم لا يجارى
هي في لهوها ترى متعة بينهم في اندفاعها أطوارا
انه لا يكاد يشبه إلا ظلمة . . وهي شعلة لا توارى
انه يستغل إحساس شخص آخر حين ينشد الأشعارا
ثم . . يلقي البريد صحفاً فتتلوها وكالورد وجنتاها احمرارا

٣

غمر الصيف بالسكون ضحاياه فهم يحلمون في الخلوات
كاد حتى النسيم يغدر بالروض فان هب هب في فترات
فهي تلقاه كل يوم على الشاطيء في زمرة من الفتيات

في لباس من الحرير لصوق   شفّ عن كل جسمها للهواة
فتحييـــه بابتسام .. وترجو   لو درى مثلهن معــنى الحياة
هــذه تنظم الغدائر شعراً   تلك تلقي بهـــا على الوجنات
كيف يجرين في الرمال ويقذفــن بها بعضهن في الــنزوات
ان في البحر نشوة للعذارى   كم جـــلا حسنهن كالمرآة
كل جسم كأنه – حين يطفو   عاطلا – قطرةٌ من القطرات
فاذا ما ارتشفن بالماء قالت   موجة «هاك» ثم تعقب «هات»

*

هي لاتسأم السباحة.. فالمــا   ء على جسمها كطيّ الحرير
كلما طال مكثها فيه قامت   لانتشاق الهواء فوق الصخور
ثم تلقي بنفسها فيــه أخرى   دون ان تستريح – كالمحرور
فيراها تغيب عنهن حــتى   تتراءى كنقطة في سطور
لا تزال المياه في غفوة الصيـ   ـف .. ومن فوقها بقايا النور
ويطول انتظارهن لها فتــرة عمر . . يخلنها كالدهور
فيحققن..دون جدوى .. كأن البحر وارى عروسه في الستور
ويدورون بالزوارق في الظلمــة حتى يجئن وقت السحور
لا تبين النجوم في الليـل للبا   حث عنها الا كشمع القبور
ثم يلقونها غداً . . جثة يحمـــلها الموج كفّنت بالشعور

*

ويحزّ المصاب صدر الذي غـــادره موتها وحيد شجونه
كلما يذكر «اللقاء» وما أعـــقبه من نفارها وحنينـه
أين ذاك الثغر الذي نال منـه   قبلة .. ثم لم تكرر لدونـه ؟

أين ذاك الصدر الذي مس فيه   خفقان الفؤاد تحت سكونه ؟
أين ذاك الوجه الذي كان يلقى   باسماً للحياة في كل حينه ؟
أين ذاك اللسان يتلو عليه   كل ما طاب في الهوى وشؤونه ؟
ثم يغشى عليه من كثرة الحزن .. ويمضي الساعات نضو أنينه
فاذا ما أفاق ظل على الصمت كئيباً مستوحشاً من خدينه
وأتته بجرعة ذات يوم   فرأته في غمضة من جفونه
وعلى صدره صحائف شتى   كان في بعضها بخط يمينه :

*

ليلاي

(ليس يحنا بغير مراك قلبي   انه دائماً يحن لقربك
فاذا ما نأيت حدد بالأنغام ذكراك .. فانشدي الليل ينبك
غبت عني .. فأظلم الكون في عيني – ولم يبق مشرقاً غير حبك
شيمتك الدموع لما توأيت – كما شيمت فؤاد محبك
أيها الليل ! هل لبست حداداً   بعد ليلاي أم خبا نور شهبك ؟

*

انني ما حييت الا لحبك   ليت أن الحبيب مثل المحب
كل ما في الوجود ينطق عن حسنك – ان لم يبث لوعة قلبي
فاسمعي في الطيور لحن يشجي   مثلما في الزهور عطرك يصبي
ان يكن في الورود حمرة خديك فان النسيم نفحة حبي
فالحظيني بنظرة بأبها الشوق .. والا قضيت في اليأس نحبي)

*

أدركت حين ذاك ان الذي تهواه في حلمها هو .. المسكين
انه رب كل فن جميل   عرفته منذ استبتها الفنون

عجباً ! كيف عاش تلك الليالي   معها وهو عن يديها مصون
كان منها كدمعة – يسبح الانسان فيهـــا ولا تراها العيون
انهـــا لم تغنِّ قولَ سواه   وهو اليوم لا يكاد يُبين
أي قلب يرضى بحال كهذا ؟   أي دنيا شجته منها شجون ؟
ثم ألقت على محيّاه طرفـــاً   ساكناً .. إنّ صمتها لأنين
فرأت في شحوبـــه شبح الموت .. أبعد اليقين بعدُ يقـــين ؟
وأحسّت بجرّة في حشاهـــا   علّمتها العذاب كيف يكون
فارتمت فوقه تناديه والدمـــع على خدّها الأسيل هتون :

*

« أنت يا من عبدت طول حياتي   ولحبّيك عشت مثل الشقيقه
ليت أني عدمت احساس قلبي   حين أنكرت في الضلوع خفوقه
يا فؤاداً شدا المحبون طرّاً   بهواه .. أنّى جهلت طريقه ؟
لمَ – قل لي – كتمت أمرك عني   ألأني بذاك غير خليقـــه ؟ »
فجرى دمعه وقال « احضنيني   جفّف الموت من لسانيَ ريقه
كل ما تنشدينه هو شعري   كم شعور أحسسته في الدقيقه
وبياني أراك معـــنى التجلي   وغرامي الذي رشفت رحيقه
غـــير أني كمثل غيري انسان   وقد كنت تحسبينيَ فوقـــه
خفت – في الكشف – ان يسوء بقلبي
ظـــنّ من لا تزال تجهـــل ضيقه
أنا ذاك الذي عشقت خيالاً   ثم أعرضت عنه وهو حقيقه »

٢ ذي القعدة ١٣٥٧

التوأمـــان

•

١

رآهـــا الليل عاكفة على مهدين .. في شغف
فـــأن حياتهـــا بهما كظل الروضة الأنُف
وتبعث روحهـــا فيما تغذّيـــه من النتف
فتسفر عن محاسنهـــا كواكبه من السجف
وتصغي وهي من نور الصباح على شفـــا جُرُف
فان سمعت بـــكاء التوأمين ... أتتك في لهف
فتبسط راحتيهـــا حين يقتربان في ضعف
لتعطف صدرها ... وكلاهما كالعـــاشق الدنف
يبغّـــم عن محبّتـــه خلال حـــلاوة الرشف
هما في حضن أمهمـــا كلؤلؤتين في صـــدف

*

وتـــأتي بعدهـــا عشر تمرّ كأنهـــا حُلُمُ
فكم من عثرة بكيا لها ... والأم تبتسم

وكم من لفظة نطقا بها .. خجلت لها النظم
وكم قادا جيوشاً كان يخفق فوقها العلم
فظلت حيث كانت .. ما تحرّك تحتها قدم
وكم من حكمة حفظا وكرّر رسمها القلم
ولو سئلا عن المعنى لمطّط فاهما السأم
وكم تاها ... ولون الافق لا ورد ولا عنم
وعادا في جناح الليل ... اذ راعتهما الظلم
وعين الأم ساهرة وملء فؤادها ألم

*

وحلّت تحت بيتهما فتاة كلها سحرُ
كأن جبينها فلك تسنّم أفقه بدر
وفي العينين عمق تجتليه الأنجم الزُهر
ولم يفترّ عن شفق كحسن شفاهها فجر
وألّف بينهم ودّ كمثل الروض يخضرّ
فصاروا يلعبون معاً يسود حديثهم طهر
ولكن ظلّ رغم الأنس في ألحاظها سر
تهم بنطقه الأهداب لولا أنه نكر
فيخفق قلبها — إن قبّلت — والوجه يحمرّ
كأن الأرض تصرخ للملائك أنها .. بكر

*

وتدرك سرّ ما خلقت له — من قبل أن تقعا
فتسبل جفنها خجلا وتمسك صدرها فزعا

ويصبح قلبها مرعى لحبّ التوأمين معا
فلا يتمتعان بلحظها إلا إذا اجتمعا
يشع على حياتهما جمالا حيثما سطعا
وكم وجدوا لهم في عالم الأحلام متسعا
فيغمرهم شعور واحد بالبدر إن طلعا
وبالأزهار ضاحكة كأن حياءها خلعا
وما طير شدا إلا ويلفى الكل مستمعا
كأنّهما وإيّاها لباناً واحداً رضعا

*

ويخلو بالفتاة أخ فيدعوها . . . الى الغابه
هنالك حيث شاد الطير للصلوات محرابه
هنالك حيث يحصي النحل بالنغمات اسلابه
هنالك حيث يدلي الغصن في التيار جلبابه
وينفض من جديد تحت نور الشمس ما شابه
هنالك حيث يفتح كل زهر للغنى بابه
وبين يدي غدير يلعب العصفور العابه . . .
فتغضي طرفها عنه وتبسم وهي مرتابه
وتذكر غائباً لم يبد حتى اليوم اعجابه
فتسأل « أين راح أخوك » . . قال « يزور أحبابه »

*

وتصحبه الى الأدغال في صمت - يداً بيد
هنالك حيث يحيا الحب من دنياه في رغد

وتبقى في تطورها الحياة ... كأنه أبدي
فتبصر طيفها في لمعة من ذائب البرد
وتسمع همسها في فتحة النوّار وهو ندي
وعدّا ساعتين من الضحى في خطو متئد
عيونهما ترى الأغصان في ألوانها الجدد
ولم يسمع حديثهما سوى قمريّها الغرد
فظل يعيد ما لقفته أذناه من البعد
... أتهواني ... أتهواني ...
.. سلي كبدي .. سلي كبدي ..

*

وجاوز باب غرفته من الحمى على مهل
فزفّت أمه البشرى اليه بصوتها الثمل
« بنيّ ، أخوك غادرني قريباً .. وهو في جذل
فقد رضيت بخطبته لعوب خطا كما الأول »
وتشهد – ما يريب الأم في وجه ابنها الخجل
فتفهم ما يخالجه لها في مفرق السبل
ويرمي نفسه في حضنها كالطفل في خبل
فتمسح ما يغشي الضعف جبنته من البلل
وكم ودّت لو أنّ اخاه أخّرها الى أجل
فيهتف من قرارة نفسه « واضيعة الأمل ! »

*

تراه الحور عند خطيبها .. كالشمس في الطفل

يقـدّم – وهو مصفرٌ – تهانئـــه الى الرجــل
فتسأل أين غاب نهــارَهُ فيجيب : « في عمــل » .
فترفــع اصبعاً وتقول « لا تكثر من العلــل
ألم يقض النـــدامى يومهم في الكأس .. والقبل ؟ »
فيرفـــع طرفه دهشــاً فلا تحكي سوى المقــل

*

وتنفض عن ذوائبها الغزالــة وردة الأصــل
وتغطس في مـيــاه البحر عارية على عجــل
فينسل العريس بهــا الى الأنغام .. والغزل
ويرخي الليــل حول تعانق الروحــين بالسدل

*

وظــل أخوه لا يلوي على شيء سوى فنّــه
فيحمل كل صبح علبــة الأصباغ في ردنــه
ويمضي باحثــاً في الغاب حيث الطير في وكنــه
يحن لألفــه .. فيقطّر الألحان في أذنــه
فيشهد عالمــاً يصبو اليــه القلب في سنّــه
وريشتــه تؤدي للجمال الدَّيْنَ عن جفنــه
فتظهر كل شيء دامعــاً .. في منتهى حسنــه
وكان أشدّ ما يصبيــه قمري على غصنــه
يرجــع كالصدى ماكان يأمله فلم يجنــه
فكان يزيد من ترجيعــه حزناً – على حزنــه

*

وتبقى الغـادة الحسناء في ذكراه كالنـدّ
تعطّر كل خاطرة تمرّ عليـه في الودّ
وكم يشتام موقـع خطوها في الغاب .. لو يجدي
يودّ لو انـه يهوي بقبلته عـلى الورد
لعـلّ الورد يهمس ما رأى في سالف العهـد
فـلا يجلو عـلى لوحاته الا بما يبـدي
وكانت لا تطوّف حولـه - الا على بعـد
فيبصرهـا تحير لـه وراحتهـا على الخـد
فان قربت اليـه في تجولهـا بـلا قصد
أحسّ كأنمـا رفّت عليـه ملائك الخـلد

٢

أطلّ البـدر من عليائه .. والريح مجتاحـه
كأن الليل أطلق من عقال الاسر أرواحه
فيبصر قائداً في خيمة متوسداً راحـه
يقلّب طرفـه فيما أحاط بها من الواحه
وقد صبّ الحمام على وقود الحرب أقداحه
فقلب الجيش في سنة وقادمتاه في راحـه
ويغمض طرفه ... للذكريات ... تثير أشباحـه
فيذكر كيف ودّع أمه ومشى الى الساحه
وكيف تشبثت بيديه أخرى - وهي ملتاحه
تود لو ان نظرتها تدير لقلبه راحـه

*

وتأخذ جفنـــه سِنَةٌ فيستلقي كمسحورِ
وتلعب ربـــة الاحلام في عينيه بالنور
فـــلا تبقي بعـــالم نفسه أثراً لديجور
وتجمعه بهـــا هي مرة أخرى ... بتغرير
بوادٍ ضاحك الارجـاء نامي الزهر ممطور
تهزهمـــا هنالك للهوى انغـــام عصفور
فيبسط راحتيـــه لها ومـا شيءٌ بمحظور
وحـــين يضمها فرحـاً بقلب شبْـــهِ مخمور
يرى من خلفهـــا طيفاً وأسراباً من الحور
يحس كأنها تبكي عـلى نفثات مصدور

*

وتؤذن في السماء يدٌ بجومَ الليـــل بالغرق
فينهض شاحبـاً من نومـه ... لتورّد الشفق
ويجزع من مغبة ما جـنى في حالة النزق
ويرشحُ كالحُزام جبينُـــه لأسـاه بالعـرق
فيأخـــذ بندقيتـــه ويخرج بادي القـلق
ويلقى الخيلَ مُسْرَجةً على الشكنات في نَسَق
تعض شكيمها وتـدير حول الجيش بالحَدَق
وتأتيـه العيون بكل ما خطت من الطرق
فيأمر بالهجوم ضحىً ويضرمها الى الغسق
و... يطفيء في غمار المـوت ما عاناه من حُرق

*

ويبلغ أمه نبأ سرى في الناس كالنسم
بأن الجيش عاد مكللاً راياته بدم
ويدوي في منامعها صهيل الخيل في الأجم
فتسرع نحوهم لتقر عيناً بابنها القرم
فتذهل ... إذ ترى تابوته قد لُف بالعلم
تشيعه على ضخم المدافع أشجَنُ النَغَم
فتغشى نورَ عينيها غشاواتٌ من الظُلَم
فتسقط بين احضان ابنها الثاني من السقم
فيحملها الى بيت العروسة عاثرَ القدم
كئيباً .. حيث ينعاه لحسرتها ... بلا كَلِم

*

وتُلقي البنت قبل تمام أشهرها بمولود
يعز على أمومتها بأن يُدعى لمفقود
فتخنقها الدموع اذا استهلّ لها كفِرّيد
وتضعف عن تحمل ما يُراشُ له بتجديد
ويترك ضعفُها أثراً على الخدين والجيد
وينسيها هوى المعدوم ذكرى كل موجود
فكم عاد الفتى منها لريشته بتنكيد
ويفعل في حشاها الداء فعل النار في العود
فلا تبقى سوى ما قلّ من أيامها السود
وتلفظ للردى نَفَساً كآخر رنة العود

٣

أفاق الناس ذات صبيحةٍ ... كأفاقة الزَّهرِ
وكلٌّ حديثهم ترجيع ما سمعوا من الخبر
بأن مليكهم آتٍ ليفتتح معرض الصور
فأعينهم تدور بهم ولا تعيى من النظر
وتحدوهم لرؤيته المنى زُمَراً على زُمر
وتظهر بينهم أنثى تكاد تنوء من كبر
تجرر ساقها فكأنما تمشي على إبر
فتلقي ثقلها بيدٍ على العكاز من بهر
وتسحب ناشئاً بيدٍ فيتبعها على الأثر
عجوزٌ مال عنها الليل فهي اليوم في السحر

*

وقال مليكهم في الحفل لما وقته حانا
« بني وطني ، الذين أتوا زَرافات ووُحدانا
ليهنأ صدر أم أرضعت في الأرض فنانا
لقد عاش الفقيد لنا فلم نعرف له شانا
فخلّف فنه أثراً يذكرنا بما كانا
وغادرنا ليبقى من وراء الغيب يرعانا
فان نعتدّ للفنان فضلاً بعد ما بانا
فذاك لأنه بسبيلنا عانى الذي عانى
ونحن اليوم نشرف وهو بالاشراف أحرانا

وبالاحساس أكملنا على الأطلاق انسانا »

*

وتعرض قاعة التصوير لوحات بدون اسم
كلوحة جدولٍ ... تلقي السماع لمائه يهمي
ولوحة غابةٍ ... أزهارُها تغريك بالشم
ولوحة غادةٍ ... في خدها وَهجُ ابنة الكرْم
تكاد بلحظها تومي الى معنىً ... وما تومي
يروعك حسنها فتخالها هبطت من النجم
وقال مليكهم « ما أجملَ الحسناءَ في الرسم
أحقاً مسّ هذا الحسنُ وجه الأرض في جسم
فما هي غيرَ طيفٍ داعب الفنانَ في حلم »
فيُطربُ سمعَهُ صوتٌ رقيقٌ « هذه أمي »

*

وتمسي وحدها تلك العجوز لطفلها المفدي
فتدركها العشيّة وهي جاثية على لحد
هما لحدان .. تعبق منهما كروائح النَد
تلجلجُ عند رأسها الشموعُ بألسن الحمد
فتنثر ظلّ ما حملته فوقها من الورد
وتلمح من خلال الدمع أشباحاً على بعد
صغاراً يضحكون معاً كما في غابر العهد
فتضغط حلمة الثديين فوق الارض من وجد

وتنشد للرؤى أغنيــة أحــلى من الشهد
يعود بها صداها القهقرى لبشاشة المهد

٢٦ ربيع الاول ١٣٥٨

عهد وراء الستار

ليلة الزفاف

•

حفت بها النسوة في جلوة   زيّنها الحب لأسحاره
كل لسان سال في غنّة   يلهج بالنعمى الى جاره
هنّ عصافير الهوى كلما   نوّر زغردن لنوّاره
في غرفة تدني مرايا على   سدتها الفاره للفاره
ضاحكة الأنوار .. لولا الذي
يدخّن العود على ناره
وفاح منه أرج ناعم   أثقل جفنيها بأسراره
كأنما زفّ ربيع الصبا   لأنسها أحسن أزهاره
وطاف أتراب لها أربع   بالدفّ – يوحين بأخباره
يعطفن للنقرة صدراً .. وكم   فزّ به ما تحت أزراره
يُظهرن باللمحة في الرقص ما   حالت أمور دون إظهاره
من شاهد الطاووس يختال في
ألوانه . . . لبعض أوطاره ؟ !

*

وكان في كرسيّه جنبها   حقيقةٌ قامت إزاء الخيالْ
ينازع الطرف فلا ينتهي   الا اليها ـ رغم طول المطال
وهل تملّ العين من مشهد   باركه في الخلد ربّ الجمال
فتنسج الأنوار من عينه   خيوطها في سدفات الظلال
وهي عـــلى إطراقها لا تني
تصعّد الأنفاس وسط الحجال
تكاد لا تبصر من حولها   شيئاً سوى احساسها بالجلال
وجيء بالورد فمدّت له   من بينها واحدة في دلال
فمسّها مسّا رفيقا ـ وفي   ناظره البرّاق عين السؤال
وارفضّ من جرّاء اشفاقه   جبين كل منهما باللآل
حتى اذا أمطرها قضّة   على الوصيفات ـ فعمّ النوال
فمن الى الأزهار ينثرنها
وهنّ ينشدن « نشيد الوصال »

*

نشيد الوصال

(يا طائر البـان على بانه ِ   قد حفّك الروض بريحانـه ِ
فضاحك ِ الأيّام في ظلّـه   ما دام يعلوك بأغصانـه
الحسن مرآة . . أترضى بأن   يُصدئهـا الدمع بتهتانـه ؟
فداعب ِ البرعم حتى اذا   تفتّقت أوراقه . . . دانِه ِ
ونادم ِ البلبـل ما دام في   نشوتـه يُفضي بألحانـه
فخير يوميك الذي ينقضي   عربـدة ما بين ندمانـه
هيهات ! ما دامت لذي سكرة   سكرتـه الا بادمانـه

لا تطو بالصمت ربيع الصبا فليست العودة من شانه
عمّا قليل ينمحي كلّ ما تراه من ثابت ألوانه
أعنـدك الجام ولا تفتني حرارة من ضوء نيرانه
فما الليـالي في سني الصبا الا دخان الندّ في حانه)

*

وعنـدما أنهمن انشاده وفزن من تغريها بابتسام
وقمن صفـين لبعرضنها فنانة تغري بحسن القوام
توسطتهن عـلى غرة كشعلة تلعب وسط الظلام
في حلة خضراء نمت على ما تحتها من بشرة كالرخام
ناهدة الثديين ... تعلوهما جوهرة زانتهما كالوسام
وردية البطن.. سوى ظلة وارت عن العين بقايا الحزام
فلم تزل تلوي يديها .. على صورة غصن مال ثم استقام
تراوح الخطو على هينـة وتارة تحجل حجل الحمام
وكلما دارت بمنديلهـا ظل كموج حولها في التطام
والعرس يلقي نحوها طرفه فيرشف الصهباء من غير جام
حتى أرته كيف تطوى الحشا
للرعشة الكبرى .. كمسك الختام

*

وانتبذت تدعو شريكاتها ان يترك المغـنى لعشاقه
فسرن في آثارها زمرة وهنّ يبسمن لاطراقه
حتى تسللن جميعـاً .. ولم يبق رقيب غير خلاّقه

وانتدبت للباب انسانة   لتحكم الستر باغلاقه
فغودر النجم الى نفسه   يسبح في ظلمة آفاقه
ومدّ يمناه الى شعرها   يمرها في طيب اعراقه
مستنشقاً جمتها كلها   أنفاسه ضاقت باشواقه
ولم يزل يعطفها ريثما   أنزلت الرأس على ساقه
واستقبلته بمحيا بدا   كالورس في حالة اشفاقه
مضطرب الجفن حياء له   مغرورق العين لاشراقه
فنال ما يشعره قلبها   صداه في أعمق أعماقه

*

وضمها مني الى صدره   ضمّة من يخشى عليها هواه
فاكتنفتها غيمة الحب - لا   تبصر في عالمها ما عداه
وأذنها فوق حناياه لا   تسمع في الدقات الا صداه
وهكذا ظل ... بمنديله   يمسح عن وجنتها شجاه
وهامسا في سمعها بعضه   وبعضه عند تلاقي الشفاه
« ما لك – يا خولة – تبكين في
ليلة أنس رجحت بالحياه
ناشدتك الله الذي ضمنا   الى حياة باركتها يداه
إلا نفضت الجفن عن دمعه   لتستطيعي ان تري ما أراه
وشاطري قلبيَ احساسه   لنرفع الروح معاً في صلاه
أنت من الحب جناني . . فلو
دفعت عنها لطواني لظاه

ما أرخص العالم في ناظري

«ما دمت قد حققت أغلى مناه»

*

ومرَّ بالثغر على جفنها فارخت الجفن على مائه

وداعبت أنفاسه خصلةً من شعرها قامت لاغرائه

فأعرضت في خفرٍ حيث لم تقوَ على منظر اغلائه

وأشرقت في فمها بسمة كالفجر في مطلع اضوائه

ورنّ في اعطافه صوتها كالماء يجري فوق حصبائه

«مالك ! ما روحي سوى معزفٍ

بين يدي باعث أصدائه

لا أحد - حاشاك - اعنو له

الا الذي يدعى لأسمائه

دونك قلبي خالصاً، فهو ان يبذل فمن كل سويدائه

لا خير لي بعدك في لؤلؤٍ ان لم تفز أنت بلألائه

ان ترَ دمعي سائلاً فهو لا ينبيء الا .. عن هوىً تائه

رضيت ما تشعه في الدجى يا كوكباً في أوج إسرائه»

*

ثم أدارت مبسماً ضاحكاً كالورد في أول إفضائه

يفتر للقبلة في وجهه فضمها شوقاً لاحشائه

١٥ شوال ١٣٥٨

في الفردوس الارضي

١ - نشيد آدم :

ورقة تين

●

أريني ناظريكِ .. فما صحا قلبي بادمانه
لأسبر فيهما عمق المحيط وراء شطآنه
وخلّي خدّك الوردي يفتنني بألوانه
لأنثر فوقه قُبَلي وأطفيء بعض نيرانه
وضمّي ثغرك المحشوّ بالدرّ ومرجانه
لأختم في ثناياه رحيقاً راق من حانه
ودنّي صدرك المصقول مزهوّاً برمّانه
أجلْ شفتيّ بينهما وآنس روح ريحانه
ولفّي شعرك الضافي على ما ماس من بانه
أمرّ أناملي فيه فيعديني بطغيانه
فلا يبقى لقلبي ما يجّ دماً بشريانه
على احساسه الاّ وقد بالغت في شانه

٢٠ شوال ١٣٥٨

في الفردوس الارضي

۲ - نشيد حواء :

تفـّاحة

●

غادر كالشمعة جسمي لظاه فكن عليه لا له .. في هواه

كأنما يصرعني مارد جن فما تسكن عني بداه

يصرخ للشهوة ألاّ تني وفي قرار النفس يدوي صداه

اني من جراه محمومة فاجعل مداواتك لي بالشفاه

ثغراً على ثغر .. ولا أتقي من مطرف يخزّني او سواه

انعم بجسني لا بأكفانه فالحب قد جرّدني للحياه

واختر لدنياك سبيل الغنى في شعري المرسل حتى قفاه

*

فان تراخت مثله رعشة أعضاء جسمي وتلاشت قواه

وغمّتا عيناي من حمرة تلظى على وجهي بها وجنتاه

ضم الى وجهك صدري ولا ترفق بنهديّ اذا لامساه

وارشفهما بالفم رشفاً فكم ضيّق أنفاسي ما زرّراه

جسميَ روض حافل بالذي تراه عيناك وما لا تراه

كان لي الله .. لقد همّ أن بعبق «نوّاري» بأحلى شذاه
وبعضه التف على بعضه فكاد ان يطوى على ما طواه
فانشر جناحيك على حسنه وبلّ - في ظل جناحيك - فاه
نجدد العهد الذي باركت ملائك الخلد لنا في سماه

٢٥ شوال ١٣٥٨

من وحي الديوان

ليــلى

•

قلت يوماً لابنتي ليـلى وقـد　　أخـذت ديوان شعري تتغنى

فكأن الحسن أولاهـا يداً　　فأرادت باسمه ان تتجنى

« طبتِ يا ليلاي نفساً فافهمي　　ليس كالشاعر في الارض مُعنّى

هو من أحلامـه في جَنـة　　فاذا حـدّث عنها قيل جُنّـا

كلنـا طائره في قفص　　انما يطلقه المجدود منّـا

لو درى الضاحك في سكرته　　أنـه يشرب دمعـاً لتأنى

والليـالي يتطاولن اذا　　أفل النجم الذي نوّرهنا

فمن في عافية من حبه　　يتباهين بـه ما بيننا

يحسب الناس جواه أدبـاً　　قلّ من شاركه فيا أجنّا

ثم يطوي ليله صبحٌ فلا　　هو للحب..ولا مَنْ حَبّهنا »

*

فأجابتني غنـاءً في الصبا　　بالذي حيّر مَنْ اكبرُ سنّا

« لا تسلني – فوجودي عدمٌ –　　طائر الخلد هنا كيف اطمأنا

هو يهفو لجمال ربما خفيت آثاره في الكون عنا
فاذا شاهده في روضةٍ أو سحابٍ مثّل الاحساس فنّا
والذي يطربنا من نغمٍ مسترقاً كلما الليل أجنّا
لم يكن غير نياط الحب في قلبه كالوتر الحساس رنّا
هو في نشوته يفضي بها نغمات تملأ الآفاق حسنا
لا تقل دنياه ظلٌّ زائلٌ فشعاع الحب فيها ليس يفنى
لو تجلت قدرة الخلاّق في لفظة.. صاغ لها الشاعرُ معنى »

*

وانحنت فوق يدي تلثمها خجلاً – حين رأت رأسيَ يحنى
ثم قالت وهي تلهو بالذي قلّدتْهُ دون ان تحمل مَنّا
« حسب عقدي ان حوى واسطة ما لها في الدر صنوٌ فتثنّى
عشت للشعر ولي يا أبتي أنت للشعر ولي ما أتمنى »

٢٥ ذي القعدة ١٣٥٨



شِيرِينُ! حُسْنُكِ أعطَى الأرْضَ زِينَتَهَا
حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَزِنْهَا كَفُّ نَيْسَانِهْ

أسطورة الخيام

على ضوء رباعياته

راجع كتاب « زهرات من رياض الخيام » ترجمة صاحب الديوان

١

في ارض ايران حيث الهضبُ لابسةٌ
زوّارها
من الثلوجْ
كالحورْ

تستقبل الشمس .. والأنهارُ هامسةٌ
أسرارها
بين المروجْ
للنورْ

جلا الربيع بنيسابور موكبه — فزاد عيداً الى أعيادها الأخر
يا ناعماً في ربوع الخلد ليلته — مست خطاك ثرى الوادي مع السحر
فلم تزل خفراء الطير تهتف في — أفنانها لنجوم الارض بالخبر
حتى تلألأن في ضوء النهار ثُنىً — وفزن منك فرادى بالشذى العطر
فالزهر في قاعها يفترّ مبسمه — يا ليل ! هل صبغت فاه يد القمر ؟
والعشب من حولها يزهو بخضرته — يا أفق ! هل هو ميدان الى النظر ؟
والطير من فوقها في ظلّ وارفة — يا غصن ! هل أخذته رشّة المطر ؟
والنهر من تحتها في موجه ألقٌ — يا شمس ! هل هو مرآة الى الشجر ؟
إني لأسمع في أرجائها ضحكاً — كنغمة بعثتها هزّة الوتر
يا من يؤمل في الفردوس بغيته — قررت عيناً بها في هذه الصور

لبِّ الحياة فقد عمّت بدعوتها
وما الربيع سوى تجديد ذكراها

٢

أتى الربيعُ الى الدنيا كعادتهِ

بما اجتناهُ

من الجنانْ

ملء اليدِ

فكاد يُشغل عنها في عبادتهِ

بما رآهُ

من الحسانْ

في المعبدِ

وأقبلت تتهادى في غلائلها ... بنت الجنان تحييها كحوّاء

لو حاول الليل أن يغزو غدائرها ... لماج يسأل : أين الكوكب النائي

تضاحك الورد لما قيل « وجنتها » ... أكنت ، يا ورد ، مشغوفاً باطراء؟

فأسفرت عن محياً في بشاشته ... يكاد يقطر منه الحسن كالماء

شفّ الحرير الذي وارى ترائبها ... عن فاتنين .. فهل همّا باشياء

لم تسحب الذيل فوق الزهر سائرة ... الا ومال يزكيها بايماء

حتى أتت محفلاً في الروض منزوياً ... قد لاذ في السكر أهلوه بأفياء

هذا أخو شيبة ألقى اليراع على ... ما خطّه وانثنى في شبه إغفاء

فهيّأت كأسه .. حتى إذا نظرت ... ما في الصحيفة .. غنت للأحباء

— والشوق في دمها والعود في يدها ... يُعيد نغمتها الاولى بأصداء —

« يا نائماً في ظلال الكرم وابنته

في الحلم تؤنسه ..قم وارتشف فاها »

٣

هذا الجمال الذي كم ودّ ناظرُهُ

في مبعةٍ

من صباهْ

لو نالَهْ

يا ورد ! مثلك ان حباه شاعرهُ

بنغمةٍ

من هواهْ

أصغى لهْ

«شيرين ! غنيّت صوتاً كان يطربني   ليت الأحباء عادوا لي مع النغمِ

ناموا .. وهدهدت الأزهار بعدهم   يدُ الربيع على عيني .. فلم تنم

ذكرتني بشبابي اذ تطوف به   في باحة الخلد آمال مدى الحلم

اذ كنت أطلق نفسي في سجيتها   فلا تني السبق من جريٍ على قدم

أشكو مواقع عينيْ كل فاتنةٍ   مفتونة بالذي اجلو من الشمم

باحت بسر شكاة القلب رائعة   تلوح كالبرق في داجٍ من الظلم

ما للبياض – أحال الله جدته –   يفضي الى الهمّ .. لا يفضي الى الهمم

نعد للصبر أنفاساً محرقةً   حتى تحوله رماداً فحمة اللمم

لأقطعن نياط القلب إن وجدت   نفسي سبيلاً الى غرس المنى بدمي

فلو سفرت عن الآمال كان بها   ما بي من الزمن الموفي على الهرم

فجددي لي باللحن الجميل رؤىً

لا زلت تحت ظلال الكرم أرعاها »

٤

يا طرفها ! انـــه قضّى الحياة الى

مشيبـــه

في اكتنـــاه

الشهُـب

وظل بجمره في الأرض مشتعلا

بطيبـه

لاالـــه

الحب

« شيرين احسنك أعطى الارض زينتها … حتى ولو لم يزنها كف نيدانه

فكيف والطير قد بل الندى فمه … فطـــار يملأ مغناهـــا بألحانه

هذا الربيـــع قد استلقى بحاشية … من الزهور على الوادي وشطآنه

يصيخ للبلبل العربيد .. وهو على … أرجوحة من نسيم الروض او بانه

يهز ارجاءهـــا هزاً بنغمته … ولا يفيق -- كأن السكر من شانه

فلقنيه من الالحان أطربهـــا … الى النفوس .. وجازيه باحسانه

وبادلي الروض أنفاســـاً معطرة … فمـــا أرقّ الصبا في ظل أفنانه

وضاحكي الورد في إبان حمرته … فربمـــا عاد مطوياً لاشجانـــه

ودونك النهر .. فانسي في تدفقه … هذا القميص الذي يزري بانسانه

أما كفى الحسن ان الموت يرصده … فما له في الصبا يسعى بأكفانه

وقبّلي الكأس ما دامت مشعشعة

ولا تشحّي على ثغري ببقياهـا »

٥

يا ربة الحسن ! إن السكر منبعُه
عيناكِ
وحدهما
لا الكأسُ
وأين من شفتيك السحر ينفثُه
صرعاكِ
باسمها
في الناسْ

طافت عليهم بها كالشمس ساطعة   يرى على الخد من لألائها شفقُ
فعب فيها ثلاثاً وهي تسنده   حتى تماسك في أحشائه الرمق
وعاود العود شيء من عافيته   لما غدا العود بين الجمر يحترق
فظلّ يبعث في الأسماع أنته   موصولة دون أن ينتابها قلق
ثم استمرّت تغنيهم — بما حملت   يد الربيع لهم — والعود يصطفق
« يا عاشق الورد ! ما جاء الربيع لكي
يحيا حبيبك محفوفاً به الورق »
— وصوتها ماج بحراً لا هدوء له   من كل نجم على أمواجه ألق
يعلو . . فتحسبه شق القلوب الى   حباتها . . وطوى آلامها الغرق
حتى اذا خفّ — مغموراً بموجته —   شيئاً فشيئاً . . تراءى حولها الافق
فهال كل نديم في ترنحه   على سواه من الصوت الذي عشقوا —
« فاقطفه في زهوه . . وانظر الى دمه
هل مازج الكاس إذ تسقي وتسقاها »

٦

بات الهزار بقرب الورد يعبدهُ

يا طلُّ

كن كالخمرِ

رقراقا

وقل الى النجم ان الفجر موعدهُ

يظلُّ

حتى الفجرِ

برّاقا

وتمّ للشمس في الافلاك جولتها ... فجاوزتْ بخطاها الغرب في خفرِ

وظل من بعدها ما احمرّ من شفقٍ ... يسائل الأرض هل غابت عن النظر

فانفضّ في الروض حفل كان منشده ... من الطيور وساقيه من الزهر

وأقبل الليل يحدوه تطلعه ... الى الذي خلّف الندمان من أثر

يا ليلُ! انفرط العقد الذي امتلأت ... به يداك ففاض الكون بالدرر

لولا سناها لما عاينتَ شاعرهم ... وقد توسّد كفيه على النهر

بجنب شيرين .. مأخوذاً بروعة ما ... تدليه [١] في مائه الجاري من الشعر

ووجهها باسم يغني بطلعته ... عن الشموع – ويمناها على الوتر

قال انظري كيف يبدو في الظلام لنا ... سر الجمال الذي يخفى مع السحر

شيرين ! لو كان لي بعد البلى أمل ... لما تمنيت إلا ثانياً عمري

فعشت في هذه الدنيا كعهدك بي

للحسن .. يشعل لي ناراً فأغشاها »

---

(١) الضمير يرجع الى الليل .

٧

للحسن فينا – كما فيه لنا – وطرُ

من لم يهمْ

بين يديْ

نورهْ

عاش الندامى وحلّى كأسهم قمرُ

على النغمْ

من عرش دنْ . .

جورهْ

عاد الربيع لنيسابورَ ثانيةً ... وقد تبدل زاهي أمسها بغد

فكان في الموكب التالي كسابقه ... يمشي مع الحسن مختالا . . يداً بيد

كم ذاب قلب هزار في ترنمه ... حتى تضوع هذا الزهر وهو ندي

عاد الربيع .. وقد حف الحسان به ... الا الذي كان يهوى الحسن لم يعد

سل الورود وقد وارت بكلتها ... ضريحه لِمَ لمْ تكثر من العدد

هناك حيث قديماً طاب محفلهم ... حل الندامى على أغاطها الجُدد

عاد الربيع . . فلا ردوا تحيته ... الا بأحسنَ منها – دائمَ الابد

بشعلة في يديها ... روح شاعرهم ... مثلَ الفراش حواليْها مع الحشد

حتى اذا تم دور الكأس بينهم ... مالتْ الى القبر بالباقي ولم تكد

فرددت قوله والعود في قلقٍ ... تهتز أوتاره من صوتها الغرد –

« وا ضيعةَ الكاس يوماً إن عثرتِ بها

على رفاقي . . . فلم أنعم برؤياها »

٢٧ جمادى الثانية ١٣٥٩

من أساطير الهند

لؤلؤة الحب

من اج . جي . ولز بتصرف

●

« اني لا استطيع ان احكم لنفسي في الخلاف الناشيء منذ العصور حول هذه القصة . أهي اشد القصص مرارة في الحب ؟ ام انها مثل رائع لخلود الحسن ؟ »

« انها اقصوصة جد قصيرة . وان كانت شروحها قد شغلت حيزاً كبيراً من ادب ذلك الجيل المنثور ، فحسبها بعضهم خيالا شعرياً ، واعتبرها آخرون رمزية فكثرت في مغزاها الاقاويل . وذهب رجال اللاهوت فيها مذاهب شتى. واهتموا منها في الأخص بالجانب المتعلق بالبعث بعد الموت . وضرب رجال الاخلاق بها الامثال . واتخذوها موضوعاً للعبرة . وهناك غيرهم من لا يرى فيها الا الحقيقة عارية من كل لبوس » .

اج . جي . ولز

*

جلوها له في نقاب الجمال عروسا أتمّ الصبا عامَها
وكان قريباً بعهد الطفولة لمـــّا تتوّج اذ رامها
فحلـّت على قلبه كالشعاع ترى عينـــه فيه أحلامها
سل الزهر عن ضحكها عندما تفتـّح للطـــلّ أكمامها

سل الطير عن نطقها عندما تبثّ مع الفجر أنغامها
وما حكتا من معاني الفتون ما يلهم الشعر الهامها
وما شرقت عينها بالسرور فتنفض من خمره جامها
اذا خطرت شدّ بين القلوب من لا يبارك أقدامها
وكانت يد الحكم - عن امره - تنفّذ في الخلق أحكامها
فعاش لأمتاعها بالوجود ونوّر بالحب أيامها

*

وعاشت واياه في روضة من الحب أفنانها دانيه
اذا عاد من همّه بالنهار ألفى لديها المنى زاكيه
فمجمرة العود في جانب ومعزفة العود في ناحيه
ومن حول هاتين شفّت ستائر عن كل نمرقة غاليه
وقد عقد الورد حول السرير من مثل ألوانها حاشيه
فتسرع باسمة نحوه وتأخذ يمناه كالشاكيه
وتهوي به بين تلك الظلال وتبقى الظلال على ما هيه
فلا تسمع الاذن غير الصدى صدى الروح تهفو الى ثانيه
ولا تبصر العين الا يداً تمرّ برفق على ناصيه
الى ان تذوب الشفاه التي تناغيه في قبلة .. غافيه

*

وكانت قصاراً ليالي الهناء ولكنها ازدهرت كامله
فما شعرا بحداء الربيع ولا كيف مرت به القافله
وحل الخريف لتنعى الطيور الى الروض أوراقه الماطله
تبدل في عينها كل لون فيا لك من صفرة قاتله

فهامت فرادى على وجهها وكانت تقر معا نازله
وماذا تؤمل بين الغصون وقد تركتها الصبا عاطله
على كل صاوٍ [1] لها رنة تسائله – لو وعى سائله
وأمسى أديم الثرى صورة لما رسمته الخطى العاجله
ومن بين من شيعتها الطيور الى عالم لا ترى ساحله
على صغر السن بين الحسان زهرة آماله الذابـله

*

وأدمى المصاب فؤاد الامير وأفقده رشده في أساه
فظل ثلاثاً بلا بلغة وقد برمت نفسه بالحياه
يلوح لناظره طيفهـا فيجزع من دمعه إن محاه
ويضحك من قلبه ساخراً إذا لم يرنّ اسمها في صداه
وكم أطرق الرأس حتى إذا أحس بذلك.. جنت بداه
وكم لبثت عينه في الظلام شاخصة".. لا ترى ما يراه
وتلّى على صومه رابع وما زال جثمانها في كراه
فلم يجتريء أحد بعد أن يواريَ هيكلها في ثراه
تمد النساء عليها الحرير فيحسبنه قائماً في صلاه
الى أن تمثلهـا فكرة فقرر تنفيذها – في ضحاه

*

فأصدر أمراً الى شعبه دعا فيه باديهمُ .. والحضرْ
فما خطرت قبله فكرة كتلك ببال جميع البشر

---

(١) يقال صوى النخل وصوي فهو صويّ وصاوٍ اذا يبس .

ووافاه من كل فجّ عميق ... بُراة الدمى والفنون الاخر
وتم له من معــــدانهم ... وأسبابهم ما اقتضاه الاثر
فصبّ لتابوتها فضـــة ... وزخرف أطرافه بالصور
وقوّم بالعـــاج أركانه ... وزان قوائمـــه بالدرر
وشاد على قدسه حضرة ... بناها من المرمر المختفر
وقدر شبا كهـــا صندلاً ... وجمل كسوتـــه بالطرر
وقامت له شرفة في البناء ... مقصورة غلفت بالستر
فكان يفارقهـــا بالعشاء ... ويأتي لزورتها في السحر

*

ومرت سنون على صرحه ... وما زال يعمل في شانه
يحس الى حبها في الضلوع ... كالبحر يغشى بطوفانه
فيسعى ليعلنـــه للانام ... ولا يستريح باعـــلانه
وتلك التي أججت قلبه ... فأغرت حشاه بطغيانه
ففي طرفه أبداً حيرة ... اذا جال في حسن بنيانه
فكم عاودت يده بالصلاح ... شكلاً يدل باتقـــانه
وكم أعجب الناس ما شاده ... وأنكره هو في آنه
فهدم من سقفه ما استقر ... وبدل هيئة أركانـــه
وفي البده كانت له نزعة ... الى المستقل بألوانـــه
فخفف حدتها توقـــه ... حديثاً لاظهار سلطانه

*

مضى في التطوّر ذاك البناء ... ومهّـد أوّله آخرهْ
فيأخذ أبوانـه في اتساع ... تحيط السواري به دائره

وتلك هي النار في صدره ... ولكنها التهبت زاهره
ففي كل ركن لها آية ... تحدّث عن حسنها شاعره
لقد كان يرضيه منها البهاء ... فأصبح لا يرتضي الباهره
واكسبه ضربه في الفنون ... ذوقاً هدى فطرة طائره
ليختار من وحيها ما يجل ... ويهمل عن عمـــد سائره
فكم شرفة أثقلتها النقوش ... ردّ سرادقها حاسره
لتنهض من فوقها قبّـــة ... تخال السماءَ بهـــا غائره
يغيب عن الحس من زارها ... ويشهد في ظلّها الآخره

*

سما صعداً حلمه بالقباب ... فظلت كأجفانه في اتّزانْ
تطلّ عـــلى أثر للخلود ... قام على آخر وهو فان
وكانت تجيء اليه الوفود ... تبارك سمعته بالعيان
فتشدو أدلاّؤهم بالـــتي ... على حسنها عقد المهرجان
وكيف قضت في صباها فشاد ... لها الحب لؤلؤة في الزمان
فتخشع أطرافهم للمكين ... وتخفت أصواتهم في المكان
وكم شاعر هائم في الخيال ... تمثلها فبكى من حنان
وحسناء تحبس أنفاســـهـــا ... لعاقبة مثلها في الحسان
وعاش الأمير على عهده ... يقوم لها كل يوم بشان
ومن حوله ملهمات الفنون ... ترفّ على قلبه بالأمان

*

وأمسى بشيبته ذات يوم ... تنادمه روحُها الساريه
يرى الوافدات الى قبرها ... وهنّ يزغردن في عافيه

فيثمل من حسن ما قد أتمّ ... ويصحو على ذكره ماضيه
لقد لبس الصرح هذا الجلال ... باشراف قبّته العاليـــه
ولم يبق ركن على حجمه ... سوى موضع التربة الزاكيه
ونظرته ترتمي في البنـاء ... فتسبح في جوّه صافيه
ولكنها كلما راجعت ... سواريه .. سارية ساريه
أصابت عثارا على نقطة ... فكرّت على نفسها ثانيه
فيشعر كالشوك في صدره ... يوخّز من قلبــه داميه
فينهض في قبضة من ذهول ... يجرّ خطـــاه بلا واعيه

*

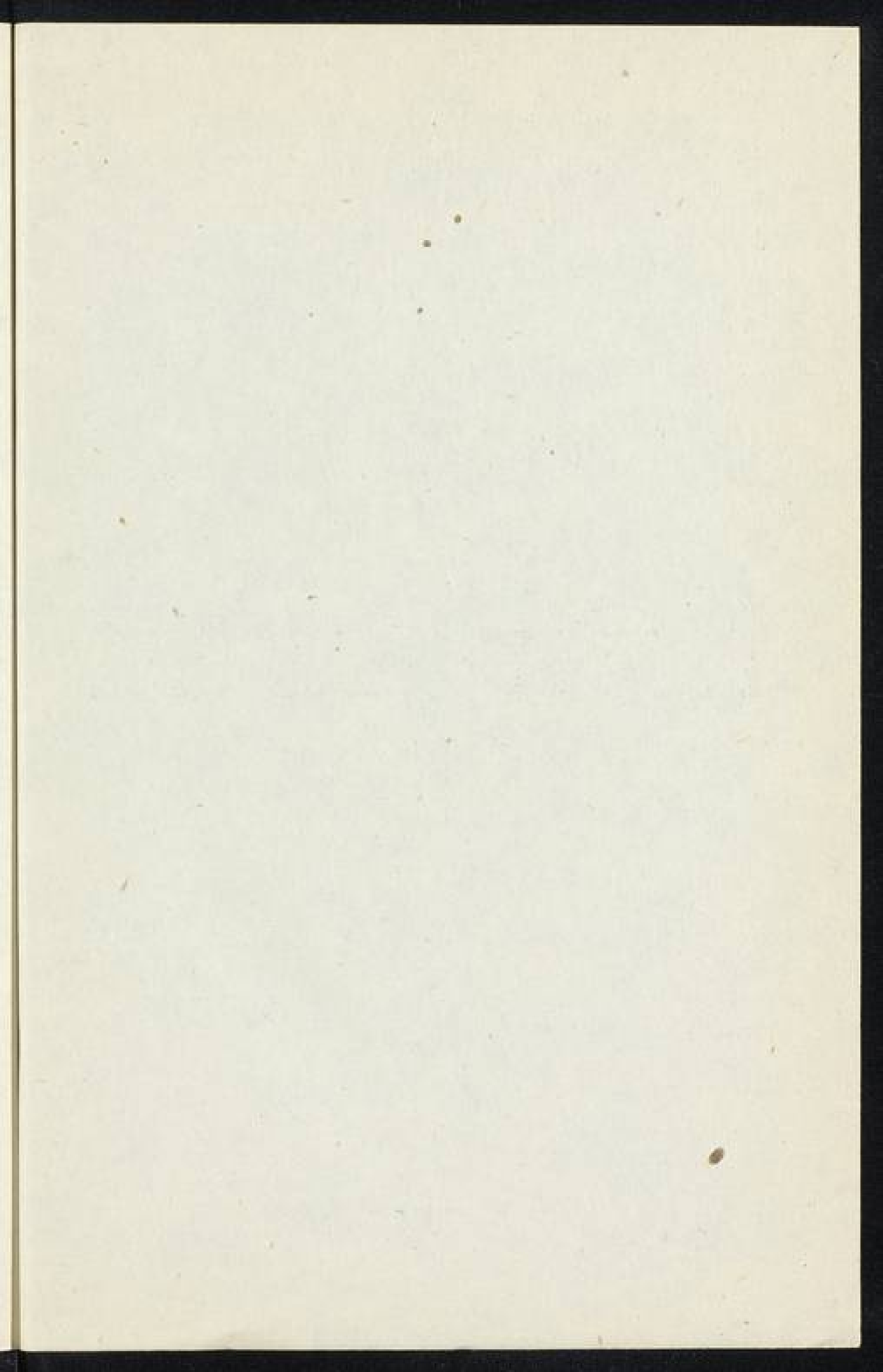
وعاد غداة غـــد واجماً ... وفي سرّه الخطـة التاليه
وساد السكون على الملهين ... كأنهم الجمرة الخابيـــه
فشاعرهم قـــائم بالوصيد ... يسائل عما جرى راويـه
ودار بنظرته في المكان ... والقى على صحنه ثانيـه
وروّى طويلا وقال: ارفعوه ... وأوماً للتربة الزاكيه

١٦ ذي القعدة ١٣٥٩هـ

انتهى

فَاعْجَبْ لِطاوُوسٍ جَلا ذَيْلَهُ   لِناظِرَيْ أُنْثاهُ زَهْوَ الحَياهْ

فَانْتَشَرَتْ بَيْنَ يَدَيْ حُسْنِهِ   حَتَّى إذا اُفْتُرَّ سَواءٌ . . طَواهْ



فهرست

« قبلتـــان »

ملحمة ذات ثلاثة فصول

لصاحب العرائس

تصدر قريباً

عن

دار العلم للملايين

صدر عن دار العلم للملايين

●

الكتاب		النسخة
العرب	للدكتور فيليب حتي	٤٠٠ قرش
منهج البحث في الادب واللغة	ترجمة الدكتور محمد مندور	١٥٠ 〃
قضية العرب	للاستاذ علي ناصر الدين	٢٥٠ 〃
التربية الوطنية	(طبعتان مدرسية وعامة) للاساتذة جحا وشهلا ومحمصاني	٤٠٠ 〃
الاسلام على مفترق الطرق	ترجمة الدكتور عمر فروخ	٢٠٠ 〃
تجديد مناهج إعداد المعلمين بالعراق	للدكتور خالد الهاشمي	٤٠٠ 〃
السلسلة السيكولوجية (٢٤ كتاباً)	من ١ — ١٥	١٠٠ 〃
	من ١٦ — ٢٤	٦٠ 〃
سلسلة الثقافة الجنسية (عشرة كتب)		١٥٠ 〃

يصدر قريباً

عن دار العلم للملايين

•

سعد زغلول (الكتاب الاول من سلسلة أعلام الحرية)
للاستاذ قدري قلعجي

على المحك (نقد للشعر المعاصر) للاستاذ مارون عبود

كيف تغلب الانسان على الألم ؟ للدكتور نقولا فياض

أشواق (قصص) للاستاذ سهيل ادريس

الحب العذري للاستاذ موسى سليمان

الديمقراطية (الكتاب الاول من السلسلة السياسية)
للرئيس ادوار بنيش

•

تطلب كتب الدار

في دمشق من السيد علي نظام وكيل شركة فرج الله وحتي
وفي العراق من السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية
وفي مصر من مكتبة الكشاف للنشر ٢٧ شارع الملكة فريدة
وفي البحرين من السيد ابراهيم محمد عبيد صاحب المكتبة الوطنية

انتهى طبع « العرائس »
في اول تشرين الثاني ١٩٤٦ على
مطابع الكشاف



الأنسخة

٢٢٥ قرشاً

او ٢٥٠ مليماً أو ملا أو فلساً

مطبعة الكشاف بيروت